سـورة الحجـرات

(دراسة تحليلية موضوعية)

إعداد

دكتور/ خلف بن حمود الشغدلي

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية - جامعة حائل

المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

يتناول البحث دراسة سورة الحجرات، فيبدأ بالتعريف بالسورة، ثم بيان مقاصدها، ثم مناسبة السورة لما قبلها، ويبرز البحث تناسق آيات السورة، التي تبدأ بالحديث عن الأدب مع الله تعالى ورسوله، ثم التثبت في الأخبار، ثم بيان حكم البغاة وفضيلة الإصلاح بين المسلمين، ثم جملة من من الآداب الإسلامية، وتختم بمراتب الدين وبيان صفات المؤمنين.

الكلمات الدالة:

سورة-الحجرات-دراسة-تحليلية

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ( ).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)( ).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)( )، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

وبعد، فإن البحث في كتاب الله تعالى وعلومه عظيم النفع، جليلُ القدر، كبير الأجر، وما ذاك إلا أنه يتعلق بفهم كلام الله تعالى ومراده من خطابه، وكلام الله تعالى أعظم الكلام، وأحسن الحديث، وأجَلّ الخطاب، وصدق الصحابي الحَبْرُ عبد الله بن مسعود ﷺ حيث قال: "من أراد العلم فلْيُثَوِّرِ القرآنَ، فإن فيه علم الأولين والآخرين"( ).

ومعلوم أن كل علم يشرف بشرف معلومة، كما قال العلماء رحمة الله علينا وعليهم؛ لذا فإن علوم القرآن أعظم العلوم الإسلامية قدرا، وقد توالت عليه جهود العلماء والأئمة الأتقياء منذ عهد النبي ﷺ وصحابته الأخيار، والتابعين الأبرار، ومن بعدهم، ومن اقتفى أثرهم بإحسان إلى وقتنا الحاضر فهمًا وتدبرًا وتحقيقًا وبحثًا وتأليفًا.

وإسهامًا مني في هذا الجهد الكبير لأهل العلم؛ قمت بجمع وكتابة هذه المادة العلمية حول تفسير هذه السورة.

منهجي في البحث:

قد سرتُ في دراسة هذه السورة العظيمة وتفسيرها على النحو الآتي:

١- قسمت السورة إلى مجموعات، كلُّ مجموعةٍ تتضمن آيات، وجعلت لكل مجموعة عنوانا.

٢-أُنبّه على القراءات المتواترة في الفرش خاصة، واعتمدتُ في ذلك كتاب النشر في القراءات العشر للإمام المحقق محمد بن الجزري - رحمه الله-؛ فهو إمام الفنّ وأستاذُهُ، وقد جمع في هذا الديوان أصح الروايات القرآنية على وجه الأرض، وهي قرابة الألف، كما قال في طيبته:

وهذه الرواةُ عنهم طُرُقُ

باثنينِ في اثنينِ وإلَّا أربعُ

أصحُّهَا في نشْرِنا يُحقَّقُ

فهي زُها ألفِ طريقٍ تجمعُ( ).

ثم أُوجّهُ هذه القراءات من كتب التوجيه الأصيلة والمعتمدة عند أهل الفن؛ ككتاب العلامة أبي منصور الأزهري، وكتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع للعلامة مكي بن أبي طالب القيسي، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج.

٣- اجتهدتُ في السير على منهج سلفنا الصالح، في تفسير القرآن بالقرآن، والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما صحّ عن الصحابة الأبرار، والتابعين الأخيار.

٤-أبين المعنى الإجمالي، وأذكرُ أسباب النزول - إن وُجدت -، مع ذكر اختيارات بعض الأئمة، والترجيح، وأميطُ اللثام عن غريب الكلمات.

٥- أوضح بعض الأحكام والمقاصد المتضمنة، مستعينا - بعد الله - بما صحَّ من الآثار والأخبار، وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح.

٦- أختم كل مجموعة من الآيات بما ظهر لي من الفوائد.

٧- قد تَشْكُل بعضُ النصوص؛ فأوردها مشكولة للتيسير على القارئ.

التعريف بالسورة:

سورة الحجرات "مَدَنِيَّة، ونظيرتها فِي الْمدنِي الْأَخير: التغابن والمزمل، وَفِي الشَّامي: التغابن واقرأ، وَفِي غَيرهمَا: التغابن فَقَط، وكلمها: ثَلَاث مئة وَثَلَاث وَأَرْبَعُونَ كلمة، وحروفها: ألف وَأَرْبع مئة وَسِتَّة وَسَبْعُونَ حرفا، وَهِي ثَمَانِي عشرَة آيَة فِي جَمِيع الْعدَد لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف، وَلَيْسَ فِيهَا مِمَّا يشبه الفواصل شَيْء"( ).

ولأهل العلم في معرفة المكي والمدني مسلكان:

الأول: عن طريق الرواية والأثر.

الثاني: عن طريق الاجتهاد والنظر.

ولا شك أن المسلك الثاني مبني على الأول، فالحاصل أن الأصل في معرفة المكي والمدني من السور والآيات إنما هو النقل عن الصحابة ؛ الذين هم أعلم الناس بالتنزيل والتأويل.

وإذا تأملتَ أقوال أهل العلم في تعريف المكي والمدني وجدتها ترجع إلى ثلاثة مذاهب:

الأول: أن المكيَّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيُّ ما نزل بعدها، سواء نزل بالمدينة أم بمكةَ عام الفتح، أو عام حاجة المدينة، أم بسفر من الأسفار، وهذا المذهب هو الراجح، وعليه أهل التحقيق.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة"( ).

وقد استنبط العلماء عددا من الضوابط التي يُعرف بها المكي والمدني( )؛ كأقوال الصحابة في السور والآيات، ووقت النزول ومكانه، ونوع الخطاب وأسلوبه، والتشريع والأحكام والسجدات، وغير ذلك، فليُراجعْ في مظانّه، والعلم عند الله تعالى.

إذا فالمدنيُّ ما نزل بعد هجرة النبي r بالجملة، وقد يُستثني بعض الآيات من بعض السور.

فبعد هجرة النبي صار للإسلام دارٌ ودولةٌ؛ فالناظر والمتأمل في كتاب الله تعالى يُلاحظُ الفرق في السياق القرآني بعد الهجرة، حيث صارت الآيات أطول، وجاء فيها الحوار مع أهل الكتاب، وذكرُ صفات المنافقين وأقوالهم وشبههم والرد عليها، وتفصيل الشرائع والأحكام بصفة عامة، وذكر الجهاد والغنائم والأسرى وأحكامها، والله أعلم.

وسورة الحجرات هي أول المفصل في كتاب الله تعالى، "فذهب الحنفية والمالكية على المعتمد والشافعية في الأصح، وابن عقيل من الحنابلة إلى أن أول المفصل سورة الحجرات، والصحيح من المذهب عند الحنابلة أن أول المفصل من سورة "ق"( ).

واختار الإمام الحافظ ابن حجر أنه "من ق إلى آخر القرآن على الصحيح، وسُمي مفصلا لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، على الصحيح( ).

وقد جمع العلامة السيوطي اثني عشر قولا في أول المفصل( )، ترجع في قول أكثر أتباع الأئمة الأربعة إلى القولين السابقين.

وكان السلف الصالح يُسمّون المفصل بالمحكم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جمعت المحكم في عهد رسول الله ، فقلت له: وما المحكم؟ قال: "المفصل"( ).

وتسمية المفصل كانت شائعة معروفة في زمن النبوة والصدر الأول، ويدل لذلك ما جاء:

عن واثلة بن الأسقع أن النبي قال: أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل"( ).

وعن أبي وائل، قال: جاء رجل إلى ابن مسعود، فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا كهذا الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في كل ركعة"( ).

وكان أكثر الصحابة والسلف الصالح يختمون القرآن الكريم في سبع، ويجعلون المفصل السبع الأخير

قال الإمام ابن قدامة: "يستحب أن يقرأ القرآن في كل سبعة أيام، ليكون له ختمة في كل أسبوع. قال عبد الله بن أحمد: كان أبي يختم القرآن في النهار في كل سبعة يقرأ في كل يوم سبعا، لا يتركه نظرا. وقال حنبل: كان أبو عبد الله يختم من الجمعة إلى الجمعة"( ).

والأصل في التحزيب على سبع ما في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال: كنت أصوم

الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فإما ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، وإما أرسل إلي فأتيته، فقال لي: "ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟ فقلت: بلى، يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام. قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فإن لزوجك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا. قال: فصم صوم داود نبي الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان أعبد الناس، قال قلت: يا نبي الله، وما صوم داود؟ قال: كان يصوم يوما ويفطر يوما قال: واقرأ القرآن في كل شهر. قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: " فاقرأه في كل عشرين" قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في كل عشر، قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا قال: فشددت، فشدد علي. قال: وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر. قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم"( ).

مقاصد سورة الحجرات:

أولا: تعريف علم المقاصد لغة واصطلاحا:

المقاصد لغة: فمأخوذة من قَصَدَ، ومادة قصد في اللغة تأتي على أربعة معانٍ:

١-الاستقامة والاعتدال، ومنه قوله تعالى: (بى بيى تج)( ).

٢-التوجه نحو الشيء: يقال: قصدتُ قصده: نحوت نحوه. وأقصدَ السهمُ: أصاب وقتلَ.

٣-الفَلّ والكسْرَ، يُقال: انقصد السيف: أي انكسرَ. وتقصّد: إذا تكسّر.

٤-الاكتناز والامتلاء، تقول العرب: ناقةٌ قصيدٌ: أي مكتنزة ممتلئة من اللحم. والقصيد من الشعر؛ ما تم سبعة أبيات( ).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: أصل قصدَ ومواقعها من كلام العرب: الاعتزام والتوجه والنُّهود والنُّهوض نحو الشيء، على اعتدال كان أو جوْر. هذا أصله في الحقيقة، وإن كان يُخصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل( ).

وعلم المقاصد من العلوم التي تنازع فيها أهل العلم، فبعضهم يردُّه لأنه عندهم من القول على الله بلا علم، وبعضهم يؤيده ويقبله، ويرى أنه من العلوم العزيزة التي تفتح للمجتهد باب الفهم لسور القرآن الكريم.

والبعض توسط، فيرى أن بعض سور القرآن يظهر للمجتهد والعالم بالتفسير المحاور والمواضيع التي تدور عليها السورة، وقد يتبينُ له المناسبةُ بين آياتها وأجزائها، والذي يظهر أن هذا هو المذهب الوسط والراجح، والعلم عند الله تعالى.

ويؤيده قول الله تعالى (﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾) ( )، وقوله تعالى (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) ( )، وقوله تعالى: (ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ) ( ).

وهذا مذهب ثُلةٌ من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن العربي المالكي، والسيوطي، والزركشي، والبقاعي، والطاهر بن عاشور، والفيروزآبادي والزرقاني، والدكتور عبد الله شحاتة وغيرهم كثير"( ).

والمقاصد اصطلاحا كما قال العلامة البقاعي: "علم يعرف منه مقاصد السور.

وموضوعه آيات السور، كل سورة على حيالها.

وغايته: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة.

ومنفعته: التبحر في علم التفسير، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير.

ونوعه: التفسير، ورتبته: أوله؛ فيشتغل به قبل الشروع فيه، فإنه كالمقدمة له، من حيث إنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً.

وأقسامه: السور. وطريقة السلوك في تحصيله: جمع جميع فنون العلم.

وأقل ما يكفي من كل علم مقدمة تعرف باصطلاح أهله، وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة، فكلما توغل الإنسان فيه، عظم حظه من هذا العلم، وكلما نقص، نقص؛ فلذلك أذكر كثيراً من فضائل القرآن، ولا سيما ما له تعلق بفضائل السور، ليكون معيناً على المقصود، وأذكر كون السورة مكية، أو مدنية، لأن نسبتها إلى محل النزول من جملة صفاتها، وعدد آياتها من كمال التعريف بذاتها"( ).

وممن عرّف المقاصد في القرآن الكريم بصفة خاصة: شيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – حفظه الله – حيث قال: ومقاصد السور يُعنى بها عند أهل هذا العلم: الموضوعات التي تدور عليها آيات سورة ما( )، وهذا التعريف هو المناسب والراجح عندي، والعلم عند الله تعالى.

ومعرفة هذا العلم تحتاج إلى علم بكتاب الله تعالى، مع التدبر والتفكر، فهو يُعين على فهم الآيات، واستخلاص الفوائد، واستنباط الأحكام.

قال العلامة البقاعي: "أن مَن عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسبَ آيِهَا، وقصصها، وجميع أجزائها"( ).

وطالب العلم المتأمل لكتب التفسير وعلوم القرآن يجدُ أن كثيرا من الأئمة السابقين قد تكلموا على مقاصد السور من غير تصريح، كالإمام الطبري وابن عطية وابن كثير والرازي وغيرهم كثير.

وممن أفرده بالتصنيف أو بالذكر العلامة البقاعي في تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، وكتابه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، والعلامة السيوطي في "معترك الأقران في إعجاز القرآن" وغيره من كتبه في علوم القرآن.

وممن اعتنى بهذا العلم من المتأخرين العلامة الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"، والأستاذ الأديب سيد قطب في ظلال القرآن.

وقد ألف الشيخ الدكتور عبد الله محمود شحاتة - رحمه الله – كتابا في هذا الباب، سمّاه "أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم"، وهو كتابٌ مختصر وجيدٌ في بابه، إلا أنه لم يتعرض لتعريف المقاصد.

وفي الباب عدةُ بحوث منها: "بحوث حول المقاصد القرآنية" للدكتور أحمد الريسوني، و"مدخل إلى مقاصد السور" للدكتور محمد الربيعة، و"توضيح المقاصد في فهم القرآن الكريم وتفسيره" للدكتور الوزاني، و"فتح البيان في مقاصد القرآن" للقنوجي.

و"مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير" للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، حفظه الله.

ثانيا: مقاصد سورة الحجرات:

هذه السورة المدنية العظيمة، على قلة عدد آياتها، إلا أنها احتوت على آداب عظيمة، وتوجيهات حكيمة، في العقائد، والأحكام، فهي سورة الآداب الإسلامية بحق، لما اشتملت عليه وتضمنته من:

١-تعظيم الإيمان والإشادة به، وأنه أعظم مِنّة، فابتدأت السورة به، وخُتمت وتُوّجت به، وبين هذا وذاك كُرر النداء بوصف الإيمان، وذكر شيء من شُعبه وآدابه ومقتضياته.

٢-افتتحت السورةُ وختمت بذكر الإيمان واقترانه ببيان علم الله وإحاطته بكل شيء، فالعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته طريق للإيمان.

٣-ومن أعظم هذه الآداب المذكورة في السورة الأدبُ مع الله تبارك وتعالى، بعدم التقديم بين يديه، فلا حكم مع حكمه تعالى، ولا رأي مع شرعه جل وعلا. والأدب معه تبارك وتعالى بنسبة الفضل إليه بأن هداهم للإيمان، وحببه إليهم، وزينه في قلوبهم، فإذا ثبت هذا؛ فقد سلموا من ضده، وهو الكفر والفسوق والعصيان.

٤-كما تضمنت الأدب مع رسول الله الكريم، والمبلغ عنه – تبارك وتعالى - أمانته ورسالته، وذلك بتعظيمه وإجلاله ﷺ، والسمع والطاعة له؛ وغض الصوت عنده وبحضرته، وعدم التقديم بين يديه، واتباع سنته وهديه، وذلك لعظيم منصبه، وعلو منزلته عند الله تعالى، كيف لا وقد هدى الله به من الغواية، وبصّر به من العمى، وأقام به الملة العوجاء، وجمع الله به الناس بعد فُرقة، وهداهم به بعد ضلالة، وأغناهم به بعد فاقة، فجزاه الله خير ما جزى به نبيا عن أمته.

٥-وتضمنت الأدب مع النفس، باتباع الأوامر، واجتناب النواهي، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

٦-واشتملت السورة أيضا على الأدب مع الناس بصفة عامة، فحرم الله تبارك وتعالى احتقارهم وأذيتهم، ومنها السخرية، واللمز والتنابز بالألقاب المكروهة، واجتناب كثير من الظنون السيئة، والتجسس على العورات والغيبة إلا ما استثني من ذلك، وقد بيناه في موطنه.

ولهذا بيّن تبارك وتعالى أنه خلق بني آدم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهي حواء عليها السلام، وبث الخلق منهما، وجعلهم شعوبا وقبائل؛ للتعارف والتآلف، لا للتخالف والتفاضل، فأصل الخِلقة واحد؛ فلا فضل لأحد على أحد لمجرد لونه أو عرقه أو جنسه أو لسانه، إنما التفاضل بين الخلق عند خالقهم جل وعلا بالتقوى والعمل الصالح.

٧-كما تضمنت السورة أيضا الأدب مع المؤمنين بصفة خاصة، بتعظيم حرماتهم، في دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

٨-ومن أهم معالم هذه السورة:

أ-التحذير مما اتصف به بعض أجلاف الأعراب من الجفاء والغلظة، وتزكية النفس والمنِّ بالإيمان.

ب-الصدق وبيان منزلته، وما يجب على المسلم من التحلي به في القول والفعل.

ج-التثبت والتبين في نقل الأخبار أمانٌ للحاكم والمحكوم.

د-ذكر العدل والقسط والإشادة بهما، فهما الميزان الذي تقوم عليه الشريعة والحياة، وتصلح به أحوال الخلق، وتطمئن إليه نفوسهم.

هـ-ذكر الصلح والحض عليه، وتحقيق مقتضياته، والحزم في إنفاذه؛ فعاقبته الخير والاجتماع والرحمة.

و-الدعوة إلى التوبة الدائمة والمتجددة، فكلما حدث ذنب، أُحدثت له توبة، فالتوبة طريق النجاة والرحمة.

قال البقاعي في مقاصد هذه السورة: "مقصودها الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ بالأدب معه في نفسه وفي أمته، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان بالله يشترط فيه فعل الأعمال الظاهرة والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون بينة على الباطن وحجة شاهدة له (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)( ) فحاصل مقصودها مراقبة النبي ﷺ في الأدب معه؛ لأنها أول المفصل الذي هو ملخص القرآن"( ).

مناسبة السورة لما قبلها:

"لما نوه سبحانه في القتال بذكر النبي ﷺ في ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به، وملأ سورة محمد بتعظيمه، وختمها( ) باسمه ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه باشتراط الأدب معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي الأخلاق، وهي إما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله ﷺ أو مع غيرهما وإن كان كل قسم لا يخلو عن لحظة الآخر، وغيرهما إما أن يكون داخلاً مع المؤمنين في رتبة الطاعة أو خارجاً عنها، وهو الفاسق، والداخل في طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم

إما أن يكون حاضراً عندهم أو غائباً عنهم، فهذه خمسة أقسام، فصل النداء بسببها خمس مرات، كل مرة لقسم منها، وافتتح بالله لأن الأدب معه هو الأصل الجامع للكل، والأُسّ الذي لا يُبنى إلا عليه، فقال منادياً للمتسمين بأول أسنان القلوب تنبيهاً على أن سبب نزولها من أفعالهم أهل الكمال، فهو هفوة تقال، وما كان ينبغي أن يقال، وليشمل الخطاب المعهود للأدنى - ولو مع النفاق - من فوقه من باب الأولى"( ).

قال أبو حيان: ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم قال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)، فربما صدر من المؤمن عاملِ الصالحاتِ بعضُ شيء، مما ينبغي أن يُنهى عنه، فقال تعالى (عَظِيماً ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ( ).

وكانت عادة العرب، وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء، وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك.

قال النيسابوري: لما بين محل النبي ﷺ، وعلو منصبة بقوله (ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی) ( ) إلى آخر السورة، افتح الآن بقوله (ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ) الآية، ففيه تأكيد لما ذُكر هناك، من وجوب اتباعه والإذعان له"( ).

ولا يبعد أن يكون ما جرى من بعض الصحابة رضي الله عنهم في عمرة الحديبية وصلحها من الجدال مع النبي ﷺ طمعا في رؤية البيت الحرام، والطواف به، ولإخباره ﷺ أن الله أراه في المنام أنهم يطّوفون بالبيت الحرام، كما في آخر سورة الفتح، ناسبَ أن يكون في مطلع هذه السورة التأديب والتنبيه على ألا يقدم المسلم بين يدي الله ورسوله، بل يكون تبعا لهما، والعلم عند الله تعالى.

تناسق آيات السورة:

أتت آيات هذه السورة العظيمة على نسق واحد، في مراعاة الحقوق الواجبة؛ فاستهلت بتحريم التقديم بين يدي الله ورسوله، مشيرة إلى حق الله تعالى ورسوله ﷺ في التعظيم والإجلال، والتسليم والإذعان، وأن من لوازم ذلك عدمُ رفع الصوت، عند رسول الله ﷺ، ثم امتدحت الآيات مَن يعظمه ويتأدب في مجلسه، وبين يديه، ثم انتقلت الآيات في ذات النسق إلى قصة الأعراب الذين لم يتأدبوا مع رسول الله ﷺ؛ فنادوه من وراء الحجرات بصوت مرتفع، ثم حذرت الآيات من الاستعجال في نقل الأخبار إليه ﷺ من غير تدقيق ولا تحقيق، ثم أشارت الآيات إلى نعمة عظيمة، ومنّة جسيمة، ألا وهي وجوده ﷺ بين صحابته الكرام، ثم في ذات السياق ازدلفت الآيات إلى بيان نعمة الأخوة الدينية بين المسلمين، وأنهم كالجسد الواحد في توادهم وتراحمهم، وأمرت بمراعاة حقوق هذه الأخوة بينهم، ثم نظمت السورة آدابا عظيمة في عقد فريد، وتحذر من كل ما يُخِلّ بهذه الأخوة، أو يخدش هذا الجسد الواحد، وقد بيّنت الآيات أن التفاضل بين الناس، إنما هو بالتقوى والصلاح، وأن أصل الناس واحد، ثم خُتمت هذه السورة بتعليم الناس تفاوت درجات الإيمان، وتفاضل مراتبه، وزيادته ونقصانه بحسب الأعمال الصالحة، وأن المنّةَ في ذلك لله تعالى، وأنه تعالى محيط بخلقه، مُطّلع عليهم، عليمٌ بكل شيء لا تخفى عليه خافية، كل ذلك في تناسق جميل، وعبارات رائقة رائعة، وأسلوب معجز قد بلغ الغاية في الفصاحة والبيان.

الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﭽ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئې ﭼ

القراءات وتوجيهها:

قال الإمام ابن الجزري: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: (لَا تُقَدِّمُوا) فَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالدَّالِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ"( ).

قال أبو منصور: (لاَ تَقَدَّمُوا) فالأصل فيه: لا تَتَقَدَّمُوا، فحذفت التاء الأولى؛ استثقالاً للجمع بين تاءين.

ومن قرأ (لاَ تُقَدِّمُوا) فهو من قَدَّم يُقَدِّمُ، إذا تَقَدم. وفيه لُغَات: يقال: قَدَّم، وتَقَدَّمَ، واسْتَقْدم، وأَقْدَم، وقَدِمَ. بمعنى واحد. والقراءة المختارة (لا تُقَدِّمُوا) بضم التاء"( ).

قال الإمام ابن الجزري: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: الْحُجُرَاتِ فَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِفَتْحِ الْجِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّهَا"( ).

وحجة من قرأ بضم الجيم ليتبع الضمُّ الضمَّ"( ).

التفسير:

سبب نزول الآيات:

عن ابن أبي مليكة ﷺ أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: "أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) حتى انقضت"( ).

قوله تعالى: (ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں)

قال الإمام ابن كثير: هذه آيات أدب الله تعالى بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فِيمَا يُعَامِلُونَ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ والتبجيل والإعظام، فقال تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) أي: لا تسارعوا فِي الْأَشْيَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْ قَبْلَهُ، بَلْ كُونُوا تَبَعًا لَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي عُمُومِ هَذَا الْأَدَبِ الشَّرْعِيِّ"( ).

والمعنى: نداء من الله الرحمن لعباده أهل الإيمان، يؤدبهم فيه بألا يتقدموا على الكتاب والسنة، بل يكونون تبعا لهما، وأن يخافوا الله تبارك وتعالى في أقوالهم وأفعالهم، بملازمة أوامره، واجتناب

نواهيه، فمن فعل ذلك، فقد اتقى الله جل وعلا، ومن قدّم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ؛ فقد جانب التقوى، والله سميعٌ لأقوال عباده، عليم بأفعالهم ونياتهم.

والنداء بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) دالٌّ على العناية بما بعده من أمر أو نهي، وكما ورد في الأثر عن معن وعون أو أحدهما أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: اعهد إلي، فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"( ).

وهذه الآية نصٌّ صريح في التحذير من الابتداع في الدين، وألاّ يعجل المسلم بقضاء أمر من أمور دينه حتى ينظر في الكتاب والسنة، فيوقعه على ما جاء فيهما، وإلا فقد ابتدع، وعمل ما لم يأذن به الله تعالى.

ولم يمت رسول الله ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين، وأتمّ به النعمة، وأظهر به الحجة.

والبدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"( ).

قال الإمام ابن حجر في تعريف البدعة: ما أُحدِث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام"( ).

قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: سَمِعْتُ مالكاً يقول: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا"( ).

وقال الإمام أبو عبد الله الشافعي - رحمه الله -: مَنِ اسْتَحْسَنَ فَقَدْ شَرَّعَ( ).

فعن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة، وإن عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد"( ).

وفي الرواية الأخرى عنه ﷺ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة"( ).

فلا تتم الهداية والاستقامة، واتباع السنة؛ إلا بالكتاب، وسنة النبي ﷺ، وضميمة ثالثة، وهي سنة خلفائه الراشدين، والأئمة المهديين، بصفة خاصة، وسنة صحابته، بصفة عامة، كما دلّ على ذلك الحديثُ سابقُ الذكر، وكذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع

ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة"، قالوا : ومن هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"( ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – عن حديث الافتراق -: الحمد لله، الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد"( ).

فما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الأبرار هو سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى: (ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇڇ ڍ ڍ) ( ).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى، ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"( ).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"( ).

قال الإمام النووي: "قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل، غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به"( ).

قال الإمام ابن كثير، عند قوله تعالى: "چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ": "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى "وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا" أي صدقا في الإخبار وعدلا في الأوامر والنواهي فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" أي فارضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه"( ).

وروى الطبري بسنده الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ)، يقول: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"( ).

قال مجاهد: (لَا تُقَدِّمُوا): لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه"( ).

قال الحافظ ابن حجر: وصله عبد بن حميد من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد"( ).

ولا شك أن الأعمال لا تكون مقبولة عند الله تعالى حتى تكون خالصة له، وابتغاء وجهه، لا شِرك فيها لأحد، وإن دقَّ، وأن تكون على سنة رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار، كما قال تعالى: (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ) ( )، وقال تعالى: (ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ

ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ
ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ) ( ).

وقال تعالى: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ) ( )، فالعمل المقبول عند الله تعالى هو العمل الصالح الموافق لهدي النبي ﷺ، الخالص لوجه الله تعالى، فإذا تحقق هذان الشرطان؛ كان العملُ حسنا صالحا مقبولا عند الله تعالى.

قال الفضيل بن عياض: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا، ولم يكن صوابا، لم يقبل. وإذا كان صوابا، ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة" ( ).

قال الإمام ابن القيم: وأما الأدب مع الرسول ﷺ: فالقرآن مملوء به. فرأس الأدب معه: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل، يسميه معقولا، أو يحمله شبهةً أو شكا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم.

فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحد المرسلَ سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع، والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته، ومَن يُعظمه، فإن أذنوا له نفذه، وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة: أعرض عن أمره وخبره، وفوضه إليهم، وإلا حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه: تأويلا وحملا، فقال: نؤوله ونحمله فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق، ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال"( ).

ومع ما سبق من الآيات – في الحض على المتابعة والإخلاص، ومجانبة الشرك كبيره وصغيره، وجليّه وخفيه- قال أبو هريرة ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نِعَمَهُ فعَرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلتَ لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نِعَمَهُ فعَرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار"( ).

وعَنْه ﷺ أيضا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"( ).

فاللهم، إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم"( ).

قوله تعالى: (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)

وعظٌ من الله الرحمن لعباده أهل الإيمان، أن يتقوه ويخافوه في كل أمورهم؛ فلا يقدموا بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ أمراً، فإن الله تعالى سميع للأقوال عليم بالأفعال، لا تخفى عليه خافية.

وعن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول : فأنزل الله عز وجل : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" " إلى آخر الآية"( ).

وسمع الله تعالى في كتابه، يأتي لبيان الإحاطة والشمول، كهذه الآية، وقد يأتي، ويراد به التهديد، كقوله تعالى (ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ) ( )، وقد يأتي ويُراد به التأييد، كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام :(ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ى)( )، ويأتي بمعنى الإجابة، كقوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) ( ).( ).

وتقوى الله: أن تجعل بينك وبين مساخط الله تعالى ومعاصيه وقاية، وهذا لا يكون إلا بفعل أوامره ومحبوباته، واجتناب نواهيه ومساخطه جل وعلا. و"التقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية"( ).

وعن ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته) قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر"( ).

قال الإمام ابن كثير: وهذا إسناد صحيح موقوف، وأخرجه الحاكم من طريق مسعر عن زبيد به، وصححه و وافقه الذهبي" ( ).

وعن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال: قال رجل لأبي هريرة: ما التقوى؟ قال: أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى"( )، وهذا لُبُّ التقوى، فهي تشميرٌ في طاعة الله جل وعلا، واحتراز من معاصيه.

وقد جاء في الحديث التحذير من المعاصي بصفة عامة، ومحقرات الذنوب بصفة خاصة؛ لأنها سببٌ للهلاك، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه"( ).

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يقول: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير"( ). ولأبي الدرداء ﷺ:

يـريـد المرء أن تؤتى مناه ويأبى الله إلا مـــا أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفاد( ).

وقال ابن المعتز:

خلَّ الذنوبَ صغيرها وكبيرها، فهوَ التقى

كنْ فوقَ ماشٍ فوقَ أر ضِ الشوكِ يحذرُ ما يرى

لا تحقرنّ صغيــرةً إنّ الجِبالَ مِن الحَصَى( ).

قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ).

قال الإمام ابن كثير: " هَذَا أَدَبٌ ثَانٍ أَدَّبَ الله تعالى به المؤمنين، أن لا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ صَوْتِهِ "( ).

والمعنى: نداء من الله الرحمن لعباده أهل الإيمان، يؤدبهم فيما يجب في حق النبي ﷺ من التعظيم والتوقير، بألا يرفع أحدٌ صوته بحضرته ﷺ، وألا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا، وألا يجهروا له بالقول، كما يجهر بعضهم لبعض؛ وإنما نهى الله تعالى عن ذلك؛ خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله تعالى لغضبه ﷻ، فتحبط أعمالكم، وأنتم لا تحسون بذلك ولا تدرون.

ولكن يُخاطب ﷺ ويُنادى بلين القول، وحسن الخطاب، مع التوقير والتعظيم، وبصفة الرسالة والنبوة، كما قال ﷻ: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ) ( ).

سبب نزول الآية:

عن ابن أبي مُليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم" الآية... قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمِع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر"( ).

وعن أنس بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته، منكسا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة"( ).

وعنه ﷺ أيضا قال: لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) إلى قوله (وأنتم لا تشعرون)، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ، حبطَ عملي، أنا من أهل النار، وجلس في أهله حزينا، فتفقده رسول الله ﷺ، فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ ما لك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي، وأجهر بالقول، حبط عملي، وأنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ، فأخبروه بما قال، فقال: لا، بل هو من أهل الجنة" قال أنس: وكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما

كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنَّط ولبس كفَنَه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل"( ).

قوله تعالى: (ﮪ ﮯ ﮯ): الكاف كاف التشبيه، في محل النصب، أي: لا تجهروا له جهرا، مثل جهر بعضكم لبعض. وفي هذا دليل على أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا، حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص، مقيد بصفة، أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها"( ).

وتوقير النبي ﷺ وتعظيمه فرض، ولم يُخاطب ﷺ في كتاب الله تعالى باسمه المجرد البتة، وإنما يُنادى ﷺ بوصف النبوة والرسالة، كما قال تعالى: (ﭴ ﭵ)، وقال تعالى: (ﭼ ﭽ) مراتٍ عديدةً.

وقال تعالى – مناديا له ﷺ بصفته حال نزول الوحي: (ﭑ ﭒ) و(ﮪ ﮫ).

ونادى غيره من الأنبياء والمرسلين بأسمائهم المُجرّدة، ومن تلك النداءات:

قال تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ ( ).

وقال تعالى مخاطبا الخليل عليه السلام: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ ( ).

وقال تعالى مخاطبا كليمه: (قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ)( ).

وقال تعالى مخاطبا كلمته إلى مريم وروح منه: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ ( ).

وقال تعالى مخاطبا زكريا عليه السلام: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا)( ).

وقال تعالى مخاطبا يحيى عليه السلام: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭼ( ).

وجاء اسم النبي ﷺ المجرّد في الأخبار، دون النداء، كما قال تعالى: (ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ)( )، وقال تعالى: (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ)، وقال تعالى: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)( )، وقال تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ) ( ).

فالمؤمنُ يحذرُ من كل معصية –وإن دقَّتْ- فقد تُسخط الله تعالى عليه؛ فيهلك، ويحرص على البر والطاعات–وإن دَقَّتْ- فقد تكون نجاته فيها.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ»( ).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه " وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا: كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق، فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا، فأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها"( ).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم"( ).

قوله تعالى: (ۇ ۆ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ نج نح نخ نم نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ).

والغض: النقصان من الطرف والصوت"( ).

والمعنى: إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، هم الذين اختبر الله قلوبهم؛ فصفّاها واصطفاها، وأخلصها لتقواه، وهؤلاء لهم من الله مغفرة، وأجر عظيم".

و"أصل الغفْر: السّتر والتغطية، وَغفر الله ذنوبَه: أَي سَترها، وَلم يَفْضَحهُ بهَا على رُؤُوس الْمَلأ، وكلُّ شَيْء سترتَه فقد غفرتَه، وَمِنْه قيل للَّذي يكون تحتَ بيْضة الْحَدِيد على الرَّأْس مِغْفَر"( ).

ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته، كحرمته في أيام حياته، وبه تَعْلَمُ أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ - وهم في صخب ولغط- وأصواتهم مرتفعة ارتفاعا مزعجا كله لا يجوز، ولا يليق، وإقرارهم عليه من المنكر"( ).

ومن تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ خفض الصوت في مسجده ﷺ، فعن السائب بن يزيد ﷺ قال: كنت قائما في المسجد فحَصَبَنِي رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ﷺ فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ"( ).

أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قوله (إن جاءكم فسق بنبأ) قال: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه نبي الله ﷺ إلى بني المصطلق، ليصدقهم، فتلقوه بالهدية فرجع إلى محمد ﷺ فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك".( ).

قوله تعالى: (ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لا لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ نج نح نخ نم نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ).

ذُكر أن هذه الآية، والتي بعدها، نزلت في قوم من الأعراب، جاؤوا ينادون النبي ﷺ من وراء حجراته: يا محمد، اخرج إلينا"( ).

وهذه الآيات، فيها ذمٌ للجهلة الذين ينادون النبي ﷺ من وراء بيوت نسائه؛ فيؤذونه ﷺ، كما يفعل أجلاف الأعراب، فأكثر هؤلاء ليس عندهم من العقل والأدب ما يحملهم على توقير النبي ﷺ وتعظيمه.

ولو أن هؤلاء الجهلة، الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا حتى تخرج إليهم، لكان خيرا لهم عند الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمرهم بتوقيرك وتعظيمك، والله غفور رحيم، لمن تاب وأناب.

وعن البراء بن عازب في قوله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال النبي : ذاك الله "( ).

قال الإمام ابن كثير: وقد ذُكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي، فيما أورده غير واحد"( ).

ويستفاد من الآيات:

١- من مقتضيات الإيمان تعظيم الله جل وعلا ورسوله وما جاء عنهما من أمرٍ؛ بفعله، ومن نهيٍ؛ بتركه، ومن خبرٍ؛ بتصديقه.

٢- حرمة التقدم بين يدي الكتاب والسنة برأي أو اجتهاد، فلا اجتهاد مع النصّ. قال الإمام الكرجي القصاب في هذه الآية: (ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ): حُجة على من يبتغي مع القرآن والسنة سواهما، ويلتمس الحجة في غيرهما، ولا يحرم القول بغيرهما، أو بالإجماع الذي دلا عليه"( ).

٣- بيان خطورة الابتداع في الدين، سواء في الأصول والعقائد، أو الفروع والأحكام، وأنه سببٌ للضلال وبطلان السعي.

٤- إثبات عدد من الأسماء الحسنى لله تعالى: السميع، العليم، والغفور والرحيم، ويشتق منها صفات: السمع والعلم والمغفرة والرحمة لله تعالى على ما يليق بجلاله، من غير تحريف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، كما قال تعالى: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک).

٥- مَن خالف السنة؛ فهو داخل في التقديم بين يدي الله ورسوله، ورفع صوته برأيه وبدعته على صوت النبي وسنته.

٦-وجوب توقير النبي وتعظيمه، وتحريم رفع الصوت بحضرته، أو في مسجده حتى بعد موته، إلا لسبب شرعي، كخطبة أو أذان، فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما - أو من أين أنتما؟ - قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله "( ).

٧-الاتباع، وعدم الابتداع، عماد التقوى لله عز وجل، ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم"( ).

٨-قوله تعالى: (ئا ئه ئه....) دليل على أن على الناس –وإن تواضع لهم إمامهم وغض لهم جناحه- أن يوقروه، ولا ينزلوه من أنفسهم منزلة بعضهم من بعض، وأن ينتظروه لحوائجهم، وإن رفع حجابه، حتى يخرج إليهم"( ).

التثبت في الأخبار

ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ
ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ
ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ

القراءات وتوجيهها:

قال الإمام ابن الجزري: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: (فَتَبَيَّنُوا)... قرأ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ فِي الثَّلَاثَةِ (فَتَثَبَّتُوا) مِنَ التَّثَبُّتِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنَ التَّبَيُّنِ"( ).

و"معنى القراءتين واحدٌ، وهو الأمر بالتأني، وعدم العجلة، حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق"( ).

التفسير:

قوله تعالى: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ).سبب نزول الآية:

"قد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها"( ).

وعن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي ﷺ قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، فيرسل إلي رسول الله ﷺ رسولا، لإبان كذا وكذا، ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبانَ الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول، فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ﷺ ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا، فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فَرِق، فرجع، فأتى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله قال: لا، والذي بعث محمدا بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ، قال: منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيته، ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل، ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) إلى هذا المكان:

(فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم)"( )، قال الشَّافِعِي رحمه الله: فأمر الله من يمضي أمره على أحد من عباده، أن يكون مستبيناً قبل أن يمضيه"( ).

و"أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد في قوله (إن جاءكم فسق بنبأ) قال: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه نبي الله إلى بني المصطلق، ليُصَدِّقَهم، فتلقوه بالهدية فرجع إلى محمد فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك"، وأخرجه الطبري بسنده الحسن عن قتادة بنحوه"( ).

والمعنى: نداء من الله الرحمن لعباده أهل الإيمان، الذين آمنوا بالله ورسوله، واتبعوا هديه، وعملوا بشريعته؛ يأمرهم فيه بالتثبت والتبيّن إذا جاءهم فاسق بخبر قبل تصديقه؛ ليُحتاط له، وخشية أن يُصيبوا قوما بُرآء بضرر؛ وهم يجهلون حالهم، فيصبحوا على ذلك نادمين.

قال الإمام ابن كثير: "وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال؛ لاحتمال فسقه في نفس الأمر"( ).

والندمُ: "التَّحَسُّر من تغيُّر رأي في أمر فَائِتٍ... وأصله من مُنَادَمة الحزن له"( ).

"ومعنى الفَسْق: الخروج عن القصد والحق، وكُل ما خرج عن شيء فقد فسق... والعَرب تقول فسَقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها"( ). و"الفسّيقُ الدائم الفِسْقِ و الفُوَيْسِقةُ الفأرة"( ).

والفسقُ من: فسق، أي خرج عن حَجْر الشرع... وهو أعم من الكفر، يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير"( ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلما كان الظلم ظلمين، والفسق فسقين، كذلك الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة. والآخر لا ينقل عن الملة" ( ).

فمن أمثلة الفسق الذي يُخرج عن الملة قوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) ( )، وقوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) ( ).

ومن أمثلة النوع الآخر الذي هو دون الكفر، ويُقصد به الكبائر من الذنوب قبل التوبة؛ قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ) ( ).

وقوله تعالى: (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ) ( ).

وما جاء في الحديث الصحيح عن شعبة عن زبيد قال: سألت أبا وائل عن المرجئة، فقال: حدثني عبد الله بن مسعود أن النبي قال: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"( ).

قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ).

عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) قال: هذا نبيكم ﷺ يُوحى إليه، وخيارُ أئمتكم، لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا، فكيف بكم اليوم؟( ).

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (واعلموا أن فيكم رسول الله) حتى بلغ (لعنتم): هؤلاء أصحاب النبي ﷺ، لو أطاعهم نبي الله في كثير من الأمر لعنتم"( ) "فأنتم والله أسخف رأيا، وأطيش عقولا، اتهم رجل رأيه، وانتصح كتاب الله، فإن كتاب الله ثقة لمن أخذ به، وانتهى إليه، وإن ما سوى كتاب الله تغرير"( ).

والمعنى: "(واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تكذبوا، فإن الله يعلمه أنباءكم فتفتضحون، (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم)، أي لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة وإثم، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه لكان خطأ، ولعنت من أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم. ومعنى طاعة الرسول لهم: الائتمار بما يأمر به فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم"( ).

وأصل العنت: التشديد، فإذا قالت العرب: فلان يتعنت فلانا، ويُعْنِته، فأصله: يتشدد عليه، ويُلزمه بما يصعب عليه أداؤه، ثم يُقلبُ إلى معنى الهلاك"( ).

والعنت الإثم، يقال: عنت الرجل. والعنت أيضا الفجور والزنى، كما في سورة" النساء"( ). والعنت أيضا الوقوع في أمر شاق"( ).

قوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ).

أي: ولكنّ الله تبارك وتعالى حبّب إلى نفوسكم الإيمان، وحسّنه في قلوبكم؛ فآمنتم بالله ورسوله، وأطعتموهما، وبغّض اللهُ إليكم الكفرَ به وبنعمه، وبغّض إليكم الفواحش وكبائر الذنوب وسائر المعاصي؛ رحمة منه تعالى بكم، ومَن كانت هذه حاله، فهو من الراشدين، الذين سلكوا طريق الحق واتبعوه"( ).

و"كَفَّرَ الرجلَ: نسبه إِلى الكفر، وكل من ستر شيئاً، فقد كَفَرَه وكَفَّره. والكافر الزرَّاعُ؛ لستره البذر بالتراب. والكُفَّارُ: الزُّرَّاعُ. وتقول العرب للزَّرَّاعِ: كافر؛ لأَنه يَكْفُر البَذْر المَبْذورَ بتراب الأَرض... ومنه قوله تعالى (كمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكفارَ نباتُه) ( ) أَي أَعجب الزُّرَّاْعَ نباته"( ).

والكفر اصطلاحا: "هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر."( ).

فـ"الكفر هو الخروج من الإسلام بالكلية، وله أسباب معروفة في كتب أهل العلم، ذكرها الفقهاء رحمهم الله في باب أحكام المرتد.

وأما الفسق فهو دون الكفر، لكنه فعل كبيرة، مثل أن يفعل الإنسان كبيرة من الكبائر، ولم يتب منها، كالزنا وشرب الخمر، والسرقة والقذف، وما أشبه ذلك.

والعصيان هو: الصغائر التي تُكفَّر بالأعمال الصالحة، فعن أبي هريرة أن رسول الله كان يقول: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر"( ).( ).

و"الكفر والفسق أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل. فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها"( ).

قال الإمام ابن القيم:

الكفر حق الله ثم رسوله

من كان رب العالمين وعبده

بالنص يثبت لا بقول فلان

قد كَفّراه فذاك ذو الكُفران( )

"فالمعاصي من حيث المعنى العام، أو الجنس العام يمكن أن نعتبرها من الشرك. وأما بالمعنى الأخص، فتنقسم إلى أنواع:

١. شرك أكبر. ٢. شرك أصغر. ٣. معصية كبيرة. ٤. معصية صغيرة.

وهذه المعاصي منها ما يتعلق بحق الله، ومنها ما يتعلق بحق الإنسان نفسه، ومنها ما يتعلق بحق الخلق. وتحقيق لا إله إلا الله أمر في غاية الصعوبة ولهذا قال بعض السلف: " كل معصية، فهي نوع من الشرك". وقال بعض السلف: "ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص" ولا يعرف هذا إلا المؤمن، أما غير المؤمن، فلا يجاهد نفسه على الإخلاص، ولهذا قيل لابن عباس: إن اليهود يقولون: نحن لا نوسوس في الصلاة. قال: فما يصنع الشيطان بقلب خرب؟! فالشيطان لا يأتي ليخرب المهدوم، ولكن يأتي ليخرب المعمور، ولهذا لما شكي إلى النبي أن الرجل يجد في نفسه ما يستعظم أن يتكلم به، قال: وجدتم ذلك؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان"( ) أي: أن ذاك هو العلامة البينة على أن إيمانكم صريح، لأنه ورد عليه، ولا يرد إلا على قلب صحيح خالص"( ).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلما كان الظلم ظلمين، والفسق فسقين، كذلك الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة. والآخر لا ينقل عن الملة. وكذلك الشرك شركان: شرك في التوحيد ينقل عن الملة، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة، وهو الرياء. قال تعالى: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يريد بذلك المراءاة بالأعمال الصالحة. وقال النبي ﷺ "الطيرة شرك"( ).( ).

قال ابن أبي العز الحنفي: "وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت"( ).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما؟ أو كنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة ﷺ: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. وهو حديث حسن( ).

والقصد أن مَن رزقه الله تعالى الإيمان، وزيّنه في قلبه وحسّنه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فذاك المؤمنُ الراشد، جعلنا الله من الراشدين.

وفي الحديث "ألا من ساءته سيئته وسرته حسنته فذلك المؤمن"( ).

قوله تعالى: (ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ).

أي: هذا العطاء الذي منحكموه، هو فضلٌ منه تعالى عليكم، ونعمةٌ من لدنه، و(الله عليم حكيم) أي: عليم بمن يستحق الهداية، ممن يستحق الغواية، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَرِه"( ).

ويستفاد من هذه الآيات:

١- وجوب التثبت في قبول الأخبار، وعدم التسرع في قبولها وتصديقها؛ فإن ذلك مما يُفضي غالبا إلى الندامة.

٢- في الآية دليل على عدم قبول خبر الفاسق والمجهول، ووجوب التثبت، وقبول خبر العدل.

٣- رؤية النبي ﷺ ومعاصرته ومصاحبته مع الإيمان به من أعظم النعم، ولذا نَوّه الله تعالى بها امتنانا، فكان من صاحبه خير الناس، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته"( ).

٤- المجاراة في الهوى ليست دليل محبة، بل إن المنع يكون نعمة كالعطاء، والشدة تكون منة كالرحمة واللين، وكما قيل:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحمُ( ).

٥-في قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾) حُجة على القدرية والمعتزلة واضحة( )، واستدل بها عمر بن عبد العزيز ردّا على القدرية"( ).

٦- من أعظم النعم على العبد، أن يوفقه الله تعالى للإيمان، وأن يجنبه الكفر والفسوق والعصيان، وبذلك يكون من الراشدين المفلحين.

٧- إثبات اسمي العليم والحكيم لله تعالى.

حكم البغاة وفضيلة الإصلاح بين المسلمين

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾

القراءات وتوجيهها:

قال الإمام ابن الجزري: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: (بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) فَقَرَأَ يَعْقُوبُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَإِسْكَانِ الْخَاءِ وَتَاءٍ مَكْسُورَةٍ عَلَى الْجَمْعِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْخَاءِ وَيَاءٍ سَاكِنَةٍ عَلَى التَّثْنِيَةِ"( ).

سبب نزول الآية:

عن أنس ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي "فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارا، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتمه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما"( ).

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فإن الله سبحانه أمر النبي ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضَهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى يُنصف المظلوم من الظالم، فمَن أبى منهم أن يجيب فهو باغٍ، فحقٌّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويُقروا بحكم الله"( ).

والمعنى: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين؛ وجب أن يُسعى بالصلح بينهم، وأن يُدعوا إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك تعدٍ من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى"( ).

وفي تسميته إياهم "بالمؤمنين" مع الاقتتال؛ دليل على أن قول النبي ﷺ :"سبابُ المسلم فسوق، وقتاله كفرٌ" هو أن يقاتله مستحلا لقتاله، فأما إذا قاتله مذنبا، أو متأولا، فليس ذلك بكفر؛ لأن الله جل وتعالى، لم يُزِل اسم الإيمان عن الباغية وغيرها...ثم أكد الإيمان لهم، بقوله: (ۆ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅۉ)، وهو ردٌّ على الرافضة، خانقٌ لهم، فيما يُكفِّرون مقاتلي علي رضي الله عنه وعنهم، وعلى الشُّراةُ [أي الخوارج]، فيما يعدون الذنوب كُفرا، وقد سمى الله كلا مؤمنا كما ترى"( ).

قال الإمام الشَّافِعِي رحمه الله: والفيءُ: الرجعةُ عن القتال بالهزيمة، أو التوبة وغيرها، وأي حال ترك به القتال فقد فاء. والفيء: بالرجوع عن القتال، الرجوع عن معصية الله تعالى ذكره إلى طاعته، في الكف عما حرم الله ﷻ... وأمر الله تعالى إن فاؤوا أن يُصلح بينهما بالعدل، ولم يذكر تباعة في دم ولا مال، وإنما ذكر الله تعالى الصلح آخراً، كما ذكر الإصلاح بينهم أولاً قبل الإذن بقتالهم: فأشبه هذا - والله تعالى أعلم – أن تكون التباعات في الجراح والدماء وما فات من الأموال ساقطة بينهم. وقد يحتمل قول الله عزَّ وجلَّ: (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ...) أن يُصلح بينهم بالحكم إذا كانوا قد فعلوا ما فيه حكم، فيعطى بعضهم من بعض ما وجب له لقول الله عزَّ وجلَّ: (بِالْعَدْلِ). والعدل: أخذ الحق لبعض الناس من بعض... وإنما ذهبنا إلى أن القَوَدَ ساقط، والآية تحتمل المعنيين."( ).

قال الإمام القرطبي: "هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين. وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين، واحتج بقوله ﷺ:[قتال المؤمن كفر]. ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا، لكان الله تعالى قد أمر بالكفر، تعالى الله عن ذلك! وقد قاتل الصديق ﷺ من تمسك بالإسلام وامتنع من الزكاة، وأمر ألا يتبع مُوَلٍّ، ولا يُجهز على جريح، ولم تحل أموالهم، بخلاف الواجب في الكفار.

وقال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهربَ منه ولزومَ المنازل؛ لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم، وذلك مخالف لقوله عليه السلام: [خذوا على أيدي سفهائكم]"( ).

وقال الإمام القرطبي: "من العدل في صلحهم ألا يطالبون بما جرى بينهم من دم ولا مال، فإنه تلف على تأويل. وفي طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشراء في البغي. وهذا أصل في المصلحة. وقد قال لسان الأمة( ): إن حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لأحكام قتال أهل التأويل، إذ كان أحكام قتال أهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول ﷺ وفعله"( ).

والشرُّ والفتنةُ والاقتتال بين المسلمين لا يرفع عنهم صفة الأخوة والإيمان، فالله تعالى ابتدأ الآية بوصفهم بالإيمان، واختتمها بالأخوة، ومثله قوله تعالى: (ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ) ( ).

والله جل وعلا قد أمر بالصلح والعدل في كتابه العزيز، كما قال عز وجل: (ۋ ۅ ۅۉ)، وقال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ( ).

والإصلاح سمةُ الأنبياء والصالحين، كما قال تعالى عن رسوله شعيب ﷺ: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) ( ). وقال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ( )، وقال تعالى رافعا من شأن الصلح: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) ( ).

وقال تعالى منوها بأهل الإصلاح: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) ( ).

وأما العدلُ فقد أمر الله تعالى به بصفة عامة، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ( ).

وبوب الإمام البخاري في صحيحه على هذه الآية العظيمة فقال: "باب قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) وقوله: (إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) ( ) (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) ( )، وترك إثارة الشر على مسلم أو كافر"( ).

وعن أبي الضحى قال: اجتمع مسروق، وشُتَيْرُ بنُ شَكَل في المسجد، فتعرض إليهما حلق المسجد، فقال مسروق: ما أرى هؤلاء جلسوا إلينا إلا ليسمعوا منا خيرا، فإما تحدث عن عبد الله وأصدقك، وإما أن أحدث عن عبد الله وتصدقني، فقال: حدثنا أبا عائشة، فقال مسروق: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: العينان تزنيان، والرّجلان تزنيان، واليدان تزنيان، ويُصَدِّق ذلك الفرْجُ، ويكذبه "، قال: نعم، وأنا قد سمعته، قال: فهل سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن حلال، وحرام، وأمر، ونهي: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ( ) قال: نعم، قال: وأنا قد سمعته قال: فهل سمعت عبد الله بن مسعود يقول: " إن أكبر آية في القرآن تفويضا: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) ( )؟ قال: نعم، قال: وأنا قد سمعته، قال: وهل سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أشد آية في القرآن فرحا: (يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ( )، قال: نعم، قال: فأنا قد سمعته"( ).

وقال تعالى آمرا الحُكّام بين الناس: (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) ( ). وقال تعالى آمرا بالكتابة في المعاملات بين الناس؛ قطعا للنزاع، وإتماما للعدل: (وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) ( )، وقال تعالى واصفا كتابه وكلامه بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ( ).

عن عبد الله بن عمرو، قال ابن نمير: وأبو بكر: يبلغ به النبي ﷺ وفي حديث زهير: قال: قال رسول الله ﷺ: إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"( ).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن، بما أقسطوا في الدنيا"( ).

والفرق بين العدل والقسط: "أن القسط هو العدل البيّن الظاهر، ومنه سُمي المكيال والميزان قسطا؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرا، وقد يكون من العدل ما يخفى؛ ولهذا قلنا إن القسط هو النصيب الذي بُيِّنت وجوهه، وتقسط القوم الشيء: تقاسموا بالقسط"( ).

والاقتتال بين المسلمين من كبائر الذنوب، وقد جاء في الحديث تعظيم أذية المسلم لأخيه بالسباب والقتال. فعن عبد الله بن مسعود أن النبي قال: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"( ).

قال الإمام ابن كثير: "فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم"( ).

قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ):

قوله تعالى: (ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅۉ ۉ ې ې ې).

هذه الآية بيانٌ لجميع المسلمين، أنهم إخوة في الدين، والأخوّة في الدين مُقدَّمة على الأخوة في النسب.

قال تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پپ پ پ پ پپ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ)

وفي الحديث عن أنس بن مالك أن رسول الله قال: لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"( ).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"( ).

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله : مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"( ).

وعن أبي موسى عن النبي قال: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه"( ).

وعن أبي هريرة عن النبي قال: من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"( ).

والمعنى: المؤمنون إخوة في الدين، فأصلحوا يا أهل الإيمان بين إخوانكم، وخافوا الله في جميع أموركم؛ ليرحمكم ربكم.

فالمحصور هنا (المؤمنون) والمحصور فيه (إخوة) وأداة الحصر إنما( )، والمقصود أن المؤمنين لا يكونون إلا إخوة.

قلت: ولا تكون الأخوة الحقيقية إلا بين المؤمنين، احتسابا لأجرها عند الله، وعملا بما تقتضيه من الموالاة والتناصر.

قال الإمام الطبري: "ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهل الإيمان"( ).

وقال العلامة الشنقيطي عند قوله تعالى (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) ( ) كلاما نفيسا قد لا يوجد عند غيره، وفيه:

"ومِن هدي القرآن للتي هي أقوم؛ هديُهُ إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادى بالارتباط بها دون غيرها؛ إنما هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي، كأنه جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيها على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله تعالى: (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) ( )، أي لا تخرجون إخوانكم، وقوله: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) ( )، أي بإخوانهم على أصح التفسيرين، وقوله: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ( )، أي إخوانكم على أصح التفسيرين، وقوله: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ) ( )، أي لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"( )، ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية قوله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) ( )، إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر، وقوله: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)( )، وقوله: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) ( )، وقوله: (فأصبحتم بنعمته إخوانا) ( )، إلى غير ذلك من الآيات. فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين"( ).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا في غزاة - قال سفيان: مرة في جيش - فكسع( ). رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: "ما بال دعوى الجاهلية " قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة " فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: " دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد، قال سفيان: فحفظته من عمرو، قال عمرو: سمعت جابرا: كنا مع النبي ﷺ" ( ).

وعن أُبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من تعزى بعزاء الجاهلية فَأَعِضُّوه بهَنِ أبيه ولا تَكْنُوا"( ).

وقد جاء النهي الشديد عن دعوى الجاهلية، وأنها من كبائر الذنوب، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي : ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"( ).

وقال العلامة الشنقيطي: واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة.

وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة ؛ كقوله: (قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) ( )، وقوله: (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) ( )، وأمثال ذلك من الآيات.

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء - كما ذكرنا آنفا - في منع النداء برابطة غير الإسلام، كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية، فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضا باتا، على الله أن يعتاص من ذلك روابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم أيضا مثلا. فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفا من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة، فهي كما قال الراجز:

بَدَّلتْ بالجمةِ رأساً أزعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا

كما اشترى المسلم إذ تنصرا ( ).

قوله تعالى: (ؤ ي ي ئ).

"يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه، واجتناب معاصيه، ليرحمكم ربكم، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه، واتبعتم أمره ونهيه، واتقيتموه بطاعته"( ).

ويستفاد من الآيات:

١-كل ابن آدم خطّاء، فوقوع الشر بين المؤمنين ممكن.

٢-حصول الفتنة، والاقتتال بين المؤمنين، لا يرفع عنهم وصف الأخوة والإيمان.

٣- وجوب الصلح بين الناس، فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله : ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام، والصدقة؟ قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين قال: وفساد ذات البين هي الحالقة"( ).

وعن أم كلثوم بنت عقبة، أخبرت: أنها سمعت رسول الله يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا، أو يقول خيرا"( ).

٤-وجوب الأخذ على يد الباغي، كائنا من كان، وأن البغي موجب للعقوبة، وسلب النعم.

٥-وجوب الحكم بالعدل والقسط في كل قضية.

٦- الصلح بين الناس يكون بالعدل، دون محاباة لنسب أو قرابة أو مصلحة تُرجى.

٧- الأخوة الحقيقية هي الأخوة الدينية، فالمؤمنون لا يكونون إلا إخوة. والأخوة الحقيقية لا تكون إلا بين المؤمنين.

من الآداب الإسلامية

چ د ڈ ڌ ڍ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڌ ڈ د ذ ڏ ڐ ڑ ڒ ړ ڔ ڕ ږ ڗ ژ ڙ ښ ڛ ڜ ڝ ڞ ڟ ڠ ڡ ڢ ڣ ڤ ڥ ڦ ڧ ڨ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ڿ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ە ۔ ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ

القراءات وتوجيهها:

قال ابن أبي مريم الفسوي النحوي: (ئج) بضم الميم، قرأها يعقوب وحده، وقرأ الباقون (ي ئج) بكسر الميم، والوجه: أن مضارع "لَمَزَ" "يلمُزُ" و"يَلمِزُ" بضم الميم وكسرها. ورجل لُمَزَةٌ: عَيَّابٌ"( ).

التفسير:

"هذه الآيات والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية. وذلك لأنهم كانوا يُجْرُونَ مع الشهوات نُفُوسَهم، لم يُقوّمهم أمرٌ من الله ولا نهيٌ؛ فكان الرجل يسطو ويهمز، ويلمز وينبز بالألقاب، ويظن الظنون، فيتكلم بها ويغتاب، ويفتخر بنسبه، إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة؛ فنزلت هذه الآية تأديبا لأمة محمد ﷺ"( ).

قوله تعالى: (د ڈ ڌ ڍ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڌ ڈ د ذ ڏ ڐ ڑ ڒ ړ ڔ ڕ ږ ڗ ژ ڙ ښ ڛ ڜ ڝ ڞ ڟ ڠ ڡ ڢ ڣ ڤ ڥ ڦ ڧ ڨ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ ڰ ڱ ڲ ڳ ڴ ڵ ڶ ڷ ڸ ڹ ں ڻ ڼ ڽ ھ ڿ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ ە ۔ ۖ ۗ ۘ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۺ ۻ ۼ ۽ ۾ ۿ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج)

سبب نزول الآية:

عن أبي جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سَلِمَةَ (ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج) قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مَهْ يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية (ئم ئى ئي بج) ( ).

"وافتتحت هذه الآيات بإعادة النداء؛ للاهتمام بالغرض، فيكون مستقلا غير تابع"( ).

والمعنى: يُنادي الرحمنُ عباده أهل الإيمان، الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ وعملوا بشريعته، يعظهم ويؤدبهم، وينهاهم ألا يستهزئ قومٌ من قوم، ولا نساءٌ من نساء، عسى أن يكون المُحتَقرُ والمهزوء به

خيرا من المُحتقِر والهازئ، وينهى جل وعلا عبادَه المؤمنين عن لمز الناس وعيبهم، وينهى كذلك عن دُعاء الناس بما يكرهون من الألقاب والصفاتِ، فبئس الصفة الفسوق باحتقار الناس والتنابز بالألقاب بعد دخول الإسلام والاتصاف بصفات أهل الإيمان، ومن لم يتُب من هذه القبائح، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم.

قال العلامة ابن عثيمين: ونصّ على الرجال والنساء بالتفصيل، حتى لا يقول أحدٌ: إن هذا خاص بالرجال –لو ذُكر الرجال وحدهم- أو خاص بالنساء وحدهن، وبهذا نعرف الفرق بين القوم والنساء، إذا جُمع بين القوم والنساء، فالقوم هم الرجال، وإذا ذُكر القوم وحدهم؛ شمل الرجال والنساء، مثل ما يُذكر في الرسل عليهم الصلاة والسلام، أنهم أرسلوا إلى قومهم، فهو يشمل الذكور والإناث"( ).

والسخريةُ بالناسِ، واحتقارهم، والاستهزاء بهم من الكبر والجهل، فهي حرامٌ ومن كبائر الذنوب، بل هي من صفات الكفار والمنافقين والمجرمين، قال الله تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ)( )، وقال تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى)( )، وقال تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ)( )، وقال تعالى: (ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي)( ).

وقد استعاذ كليم الله موسى ﷺ من الاستهزاء بالناس، فلا يتصف بهذا إلا جاهل، قال تعالى: (ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ)( ).

ولهذا جاء في الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس"( ).

وقد جاء في وصية نوح ﷺ لابنه النهي عن اثنتين عن الشرك والكبر، فعن سليمان بن يسار إلى رجل من الأنصار: أن رسول الله ﷺ قال: قال نوح لابنه: إني موصيك بوصية وقاصرها كي لا تنساها، أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما، وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله تعالى، أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانت في كفة وزنتهما، وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق، وبها يرزق الخلق، (ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ) وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما، وصالح خلقه، أنهاك عن الشرك والكبر"( ).

"والهمَّاز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) والهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال عز وجل: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغياً عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمز بالمقال"( ).

ويدلّ لهذا، قوله تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى)( ).

وقال ابن الأثير: اللّمْزُ: العَيْبُ، والوُقُوعُ فِي النَّاسِ. وقيل: هو العَيْبُ في الْوجْه. والهمْز: العَيْب بِالْغَيْبِ"( ).

قوله تعالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ).

نداء من الله الرحمن لعباده أهل الإيمان، ينهاهم عن كثير من الظنّ ببعضهم، والظن تُهمة وتخوّن للناس، لا أساس له، إلا وساوس الشيطان، فليُجتنب أكثره؛ فإن الظنّ أكذب الحديث، كما جاء في الصحيح، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا"( ).

قال الإمام الطبري: "وقال جلّ ثناؤه: (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) ولم يقل: الظنّ كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين"( ).

وهذا القسم من الظنّ هو ظنُّ الخير بالمسلمين والإخوة في الدين.

والقسم الثاني: ظنُّ السوء.

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين: وهذا يحرم بالنسبة لمسلم ظاهره العدالة، فإنه لا يحلّ أن يُظن به ظن السوء، أما من قامت القرينة على أنه أهل لذلك، فهذا لا حرج أن يُظن السوء به"( ).

والقرائن من غير العدْلِ، قد تكون في لمحات الوجه، وفلتات اللسان، أو أن يكون في مواطن التهم، وعلى كل حال لا ينبغي أن يضع المؤمن نفسه في مواطن الريب والتهم.

وإن كان شيء من ذلك، لا عن اختيار، وجب حينئذ أن يبين حاله، وأن يرد عن نفسه، وبذلك يقطع وساوس الشيطان، وظنون السوء به، ففي الصحيح عن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: على رسلكما إنها صفية بنت حيي. فقالا سبحان الله يا رسول الله قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا، أو قال: شيئا"( ).

فإذا كان هذا سيد الخلق ﷺ، ردّ عن نفسه، وقطع وساوس الشيطان، فمَن دونه من باب أولى.

وفي الآية: "تأديب عظيم يبطل ما كان فاشيا في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة وأن الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد والاغتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذرا من اعتداء مظنون ظنا باطلا، كما قالوا: خذ اللص قبل أن يأخذك. وما نجمت العقائد الضالة والمذاهب الباطلة إلا من الظنون الكاذبة قال تعالى: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ)( )، وقال: (وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ مَا عَبَدْناهُمْ مَا لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)( )، وقال: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ) ( )، ثم قال: (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ

عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) ( )، وقال النبي ﷺ "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"( ).

ولما جاء الأمر في هذه الآية باجتناب كثير من الظن علمنا أن الظنون الآثمة غير قليلة، فوجب التمحيص والفحص لتمييز الظن الباطل من الظن الصادق. والمراد بالظن هنا: الظن المتعلق بأحوال الناس وحذف المتعلق لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن هو إثم"( ).

والظن في كتاب الله تعالى يكون يقينا وشكا، فهو من الأضداد، كالرجاء يكون خوفا وأمنا، أما استعماله بمعنى اليقين، فمنه قوله تعالى: ﴿ ﴾( )، أي: يستيقنون"( ).

قال العلامة الزركشي: وللفرق بينهما في القرآن ضابطان:

(أحدهما): أنّه حيث وجد الظنّ محمودا مثابا عليه، فهو اليقين، وحيث وجد مذموما متوعّدا بالعقاب عليه، فهو الشك.

(الثاني): أنّ كل ظن يتصل بعده (أن) الخفيفة فهو شكّ، كقوله تعالى: (إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ) ( ). وقوله: (بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ) ( ).

وكلّ ظن يتصل به (أنّ) المشددة، فالمراد به اليقين، كقوله: (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ) ( )، و(وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ)( ).

والمعنى فيه أنّ المشددة للتأكيد، فدخلت على اليقين، وأنّ الخفيفة بخلافها، فدخلت في الشك"( ).

والظن في هذه الآية بمعنى الشك، واتهام الناس وتخوينهم بالباطل، المبني على الأوهام والوساوس الشيطانية.

قوله تعالى: ( ).

وينهي الله جل وعلا عباده المؤمنين عن التجسس وتتبع عورات المؤمنين وعيوبهم.

فعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"( ).

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ:... ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"( ).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته"( ).

قال الإمام الطبري: ولا يتتبع بعضكم عورة أخيه، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن، اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره"( ).

و"التجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر. والجاسوس: صاحب سِرّ الشر. والناموس: صاحب سِرّ الخير. وقيل: التجسس بالجيم أن يطلبه لغيره، وبالحاء أن يطلبه لنفسه. وقيل: بالجيم: البحث عن العورات، وبالحاء: الاستماع.

وقيل: معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار، ومنه حديث تميم الداري "أنا الجسَّاسة"( ) يعني الدابة التي رآها في جزيرة البحر، وإنما سميت بذلك لأنها تجس الأخبار للدجال"( ).

"والتجسس غالباً يطلق في الشر، ومنه الجاسوس. وأما التحسس فيكون غالباً في الخير كما قال إخباراً عن يعقوب أنه قال (يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ)" ( ).

وفي الحديث: "... ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا"( ).

وعن أبي أمامة عن النبي قال: إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم"( ).

عن أبي هريرة عن النبي قال: من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"( ).

والمتجسسُ عاصٍ لله ورسوله ، مستحق للعقوبة، وساقط الكرامة.

فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: من اطلع في دار قوم بغير إذنهم، ففقئت عينه، هُدِرتْ"( ).

وعن سهل بن سعد قال: اطلع رجل من جحر في حجر النبي ومع النبي مِدْرىً يحك به رأسه، فقال: لو أعلم أنك تنظر، لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"( ).

قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ).

"أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: (ولا يغتب بعضكم بعضاً. أيحب أحد أن يأكل لحم أخيه ميتا) قال: حرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء، كما حرم الميتة"( ).

والمعنى: أن الرحمن جل وعلا يُؤدبُ أهل الإيمان، وينهاهم أن يغتاب بعضهم بعضا، والغِيبةُ محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من هذا التحريم إلا ما رجحت مصلحته في النصيحة لله وكتابه ورسوله ، كما في الجرح والتعديل، والتحذير من أهل البدع وغيرهم، مما سنبينه.

والغِيبة والبهتان جاء تعريفهما عن رسول الله ، فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره" قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه"( ).

ولعظم تحريم الغيبة، وإفسادها، جاء عن أم المؤمنين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد: تعني قصيرة، فقال: لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته" قالت: وحكيت له إنسانا، فقال: ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا"( ).

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم"( ).

عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة" فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة، متى عهدتني فحاشا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره"( ).

قال الإمام النووي –رحمه الله-: "اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند( ) إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها جرح المجروحين من الرواة والشهود وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقها يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحا لها، وإما بأن يكون فاسقا، أو مغفلا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلما، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة. فمن ذلك: عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا استأذن على النبي ﷺ فقال: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة؟ متفق عليه( )، احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب.

وعنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا". رواه البخاري( )،

قال: قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث: هذان الرجلان كانا من المنافقين( ).

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني؟ فقال رسول الله ﷺ: "أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم، فلا يضع العصا عن عاتقه"( ).

وقيل: معناه: كثير الأسفار) ( ).

ورُوي عن شعبة بن الحجاج –وكان من الأئمة في الجرح والتعديل - قوله: "تَعَالَوْا نَغْتَابَ فِي اللَّهِ"( ).

وروي عن يحيى بن معين قوله: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي سنة( ).

وقد جمع أبو المعالي( ) كمال الدين بن أبي شريف،( ) ما يستثنى من الغيبة، فقال:

القدحُ ليس بغيبة في ستة

ولِمُظهر فِسقا ومُستفْتٍ ومَن

متظلم ومُعرّف ومُحذِّر

طلبَ الإعانة في إزالة منكر( )

قوله تعالى: (ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ڤ ڤـڤ ڤ ڤـڤ ڦ ڦ ڄ ڃ)

"أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غيبته وهو حي"( ).

والمعنى: مثّل الحق تبارك وتعالى بمثال بليغ؛ للزجر والتنفير من الغيبة، فمثل للمغتاب بمن يأكل لحم أخيه وهو ميتٌ لا حراك به، ولا يستطيع أن يرد عن نفسه، مع ما في ذلك من بشاعة الصورة، فكما تكرهون هذا طبعا، فاكرهوا ذلك شرعا، فمثّل بما يوقنون بحرمته وبشاعته، لما يتساهلون في تعاطيه.

والاستفهام في (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تقريري؛ لتحقق أن كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أجيب الاستفهام بقوله: فكرهتموه"( ).

وقد ورد في كتاب الله تعالى بعضُ الأمثال للتنفير من بعض الأعمال المنكرة، كما جاء في قوله تعالى: (ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ) ( ).

وقوله تعالى: (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ) ( ).

وفي السنة جاء عن النبي ﷺ بعض الأمثال للتنفير والتحذير من بعض المنكرات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه"( ).

كما جاء التمثيل منه ﷺ بما يوقن الناس بحرمته لما يتساهلون في تعاطيه، كما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: يا أيها الناس أي يوم هذا؟، قالوا: يوم حرام، قال: فأي بلد هذا؟، قالوا: بلد حرام، قال: "فأي شهر هذا؟، قالوا: شهر حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مرارا، ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت - قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض"( ).

قوله تعالى: (ڤ ڤـڤ ڦ ڦ ڄ ڃ).

"يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه، من ظن أحدكم بأخيه المؤمن ظن السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما استتر عنه من أموره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم (إن الله تواب رحيم)، يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه"( ).

قال العلماء: إذا ذُكر "الرحمن" وحده، أو ذُكر الرحيم وحده، كما في هذه الآية، فمعناهما واحد، يعني أن الرحيم والرحمن: ذو الرحمة الواسعة الشاملة، أما إذا اجتمعا جميعا، فالرحمن باعتبار الوصف، والرحيم باعتبار الفعل، يعني أنه ﷺ ذو رحمة واسعة، وهو أيضا راحم، موصل الرحمة إلى من يشاء من عباده، كما قال تعالى:(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ)( )، أسأل الله أن يعمني وجميع إخواننا المسلمين برحمته، وأن يجعلنا من دعاة الخير والإصلاح، إنه على كل شيء قدير"( ).

ولا شك أن الغيبة من كبائر الذنوب، فحري بالمؤمن ألا يقارفها، ولا يرضاها لإخوانه المسلمين، فإن الراضي كالفاعل، إلا إن خاف ضررا على نفسه؛ فينكر بقلبه، ولا حرج عليه، إن شاء الله تعالى.

يدل لذلك ما ورد عن العُرْسِ بنِ عَمِيرَة الكندي عن النبي ﷺ قال: إذا عملت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فكرهها - وقال مرة: "أنكرها" - كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها"( ).

ولا شك أن النية –ومحلها القلب- عليها مدار العمل والجزاء، فحبُّ القلب وميله وكراهيته يؤاخذ عليها العبد، فعمل القلب أساس عمل الجوارح، فعن أبي كبشة الأنماري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مثل هذه الأمة، كمثل أربعة نفر، رجل آتاه الله مالا وعلما، فهو يعمل بعلمه في ماله، ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علما، ولم يؤته مالا، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل"، قال رسول الله ﷺ: فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالا، ولم يؤته علما، فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله علما، ولا مالا، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا، عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: فهما في الوزر سواء"( ).

والقلب محلُّ نظر الرب تبارك وتعالى، كما في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"( ).

وأما توبة المغتاب، فقد "قال الجمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود، وهل يشترط الندم على ما فات؟ فيه نزاع، وأن يتحلل من الذي اغتابه. وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه إذاً أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، لتكون تلك بتلك"( ).

قوله تعالى: (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ).

هذا نداءٌ من الله تبارك وتعالى للناس أجمعين، يُخبرهم تبارك وتعالى بأنه خلقهم من ذكر وأنثى، أي من الوالد آدم ﷺ، وزوجه حواء عليها السلام، فهما الأساس والمنشأ، ثم جعل نسلهم من ماء ذكر، وماء أنثى، وبثّهم في أرضه، وجعلهم شعوبا وقبائل؛ ليعرف بعضهم بعضا، لا ليتفاضلوا ببيوتهم وعشائرهم وأعراقهم وألوانهم، فهم فيها عند الله سواء، وإن الأفضل والأكرم منهم عند الله تبارك وتعالى أتقاهم وأشدهم تعظيما له، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

قال الإمام الشافعي: إن أرفعكم منزلة عند الله أتقاكم، وفي هذه الآية نهي عن التفاخر بالنسب، وحضٌّ على معرفته ليستعان به على حيازة المواريث، ومعرفة العواقل في الديات -والله أعلم –"( ).

قال الإمام ابن كثير: "فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة، واحتقار بعض الناس بعضاً، منبهاً على تساويهم في البشرية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته"( ).

وما أحسن قول الشاعر:

الناسُ من جهة التمثيل أكفاءُ

فإن يكن لهم من بعد ذا نسب

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

فعش بعلم ولا تبغي به بدلا

أبوهم آدم والأم حواء

يفاخرون به فالطين والماء

على الهدى لمن استهدى أدلاء

والجاهلون لأهل العلم أعداء

فالناس موتى وأهل العلم أحياء( )

وعن أبي هريرة ﷺقيل يا رسول الله: مَن أكرم الناس؟ قال: أتقاهم" فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فيوسف نبي الله، ابن نبي الله،ابن نبي الله، ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال:"فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقُهوا"( ).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"( ).

وعن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت، قالوا: بلغ رسول الله، ثم قال: أي يوم هذا؟، قالوا: يوم حرام، ثم قال: أي شهر هذا؟، قالوا: شهر حرام، قال: ثم قال: أي بلد هذا؟، قالوا بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم. قال: ولا أدري قال: أو أعراضكم، أم لا كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا أبلغت، قالوا: بلغ رسول الله، قال: ليبلغ الشاهد الغائب"( ).

وقال ﷺ: إن مسابَّكم هذه وليست بمساب على أحد وإنما أنتم ولد آدم طف الصاع لم تملئوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو عمل صالح حسب الرجل أن يكون فاحشا بذيا بخيلا جبانا"( ).

وقال ﷺ: من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا»( ).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:... ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه"( ).

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: انتسب( ) رجلان على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان بن فلان، فمن أنت لا أم لك؟ فقال رسول الله ﷺ: "انتسب رجلان على عهد موسى ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام. قال: فأوحى الله إلى موسى ﷺ: أن هذين المنتسبين، أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة"( ).

وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا " فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا"( ).

قلت: وما فضّل هذا الرجل الفقير، وهو جعيل بن سراقة ﷺ على هذا الرجل من أشراف الناس، إلا إيمانه وتقواه"( ).

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : " لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال : أجيبها أو أصلي، فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما، فقالت : من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعي، قالوا : نبني صومعتك من ذهب ؟ قال : لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال : اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه، - قال : أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه - ثم مر بأمة، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون : سرقت، زنيت، ولم تفعل"( ).

وفي مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ: ... قال يا أمتاه إن الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة، وإن هذه الأمة يقولون: زنت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله "( ).

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بها (ه ه ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ

و و ۇ ۇ ې ې ې ى ئا ئا ئەئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆئۈ ئۈ ئې ئې ئېئى ئد ى ى ي يئج ئح ئم ئى ئي)، والآية التي في سورة النساء : (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ) والآية التي في الحجرات (چ ڈ ڈ ژ ژ)"( ).

فما مضى من كلام الله جل وعلا، وكلام رسوله ﷺ دالٌّ على أن التفاضل بالتقوى، وأما الحكمة من تشعب الخلق واختلافهم في الأجناس والألوان والقبائل والبيوت، إنما هو للتعارف ولصلة الرحم بينهم.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر"( ).

قال العلامة الشنقيطي: لما كان قوله تعالى: (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)؛ يدل على استواء الناس في الأصل؛ لأن أباهم واحد، وأمهم واحدة، وكان في ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب، وتطاول بعض الناس على بعض، بين تعالى أنه جعلهم شعوبا وقبائل لأجل أن يتعارفوا، أي يعرف بعضهم بعضا، ويتميز بعضهم عن بعض، لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتطاول عليه.

وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض وأكرم منه، إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب.

وقد بين الله ذلك هنا بقوله: (چ ڈ ڈ ژ ژڈ)، فاتضح من هذا أن الفضل والكرم، إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل"( )، وقال تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ ٻپ پ پ پ پ)( ).

وقد قال الله تعالى: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ)( ).

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ جهارا غير سر يقول: إن آل أبي - قال عمرو : في كتاب محمد بن جعفر بياض - ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين... وفي رواية: عنه قال: سمعت النبي ﷺ: ولكن لهم رحم أبلها ببلاها" يعني أصلها بصلتها"( ).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لما أنزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله ﷺ قريشا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها..."( ).

"ولقد صدق من قال:

فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وقد ذكروا أن سلمان ﷺ كان يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميـم

وهذه الآيات القرآنية، تدل على أن دين الإسلام سماوي صحيح، لا نظر فيه إلى الألوان ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه تقوى الله - جل وعلا - وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم؛ أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي، ولو كان رفيع النسب. والشعوب جمع شعب، وهو الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة... ولم يُذكر من هذه الست في القرآن إلا ثلاثٌ: الشعوب والقبائل، كما في هذه الآية، والفصيلة في المعارج في قوله تعالى: (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ) ( ).( ).

وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة (وجعلناكم شعوبا وقبائل) قال: الشعوب النسب البعيد، والقبائل هي كقوله: فلان من بني فلان، وفلان من بني فلان"( ).

قوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ژ).

يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده، ذو خبرة بكم وبمصالحكم، وغير ذلك من أموركم، لا تخفى عليه خافية"( ).

ويستفاد من الآيات:

١-حرمة السخرية بالناس، إذ فيها استعلاء بالنفس، واحتقار لخلق الله، وهذا فساد في الطبع، وتجرأ على الله تعالى، ففي الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي قال: "الكبر بطر الحق، وغمط الناس"( )، و "غَمْطُ الناس: الاحتقار لهم، والازدراء بهم"( ).

٢--"تحريم ظن السوء بأهل الخير، وإباحته بأهل الشر؛ لأنه لم ينه عن كل الظن، وقد حُمل على الثاني"( ).

٣-بيان حرمة أذية المسلمين: بالسخرية واللمز، والغيبة، والظنون السيئة، وتتبع العورات وكشفها، ونشرها بين الناس.

٤- في الآيات بيان أن فاعل الأذى بالمسلمين، ظالم إن لم يتب.

٥-في قوله تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم) عتاب، إذ ليس مقبولا أن يلمز المرأ نفسه، والمسلمون للمسلم بمثابة نفسه، كما فيه إشارة إلى وحدة الكيان المسلم، فعن النعمان بن بشير، قال : قال رسول الله : المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"( ).

٦-في الآيات إشارة إلى وجوب استمرار استئناف التوبة إلى الله تعالى.

٧-تحريم أسباب وقوع الشر والعداوة بين المسلمين، من السخرية واللمز والظنون السيئة والتنابز بالألقاب وغير ذلك.

٨-ضرب الأمثلة في القرآن؛ تقريبٌ للمعاني.

٩-التمثيل للمحرمات بصورة بشعة؛ تقبيحا لها، وتنفير منها.

١٠-بيان حرمة التفاخر بالأنساب، والشعوب والقبائل.

١١-المماىزة والاختلاف بين الناس في شعوبهم وقبائلهم وألوانهم وألسنتهم؛ الغاية منه التعارفُ والتعاون.

١٢-الكريم على الله تعالى من خلقه؛ هو التقيَّ، من أي شعب أو قبيلة أو عرق كان.

١٣-ميزان التفاضل بين الخلق عند الله تعالى هو التقوى، والذي أخبر به ووضعه الخالق العليم بخلقه الخبير بصنعته، قال تعالى: (ٻ ٻ ٹ ٹ ٹ ٹ) ( ).

مراتب الدين وبيان صفات المؤمنين

ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ئد ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح.

القراءات وتوجيهها:

قال الإمام ابن الجزري: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: (لَا يَلِتْكُمْ): فَقَرَأَ الْبَصْرِيَّانِ (يَأْلِتْكُمْ) بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَيْنَ الْيَاءِ وَاللَّامِ، وَيُبْدِلُهَا أَبُو عَمْرٍو عَلَى أَصْلِهِ فِي الْهَمْزِ السَّاكِنِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِ اللَّامِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ"( ).

وقال: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: (بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِالْغَيْبِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْخِطَابِ( ).

قال أبو منصور: من قرأ (لاَ يَلِتْكُمْ) فهو مِن (لاَتَ يَليتُ) يقال: لاَتَه يَلِيتُهُ لَيْتًا إذا نَقَصه. ويكون بمعنى: صَرَفَهُ عن وَجْهه. ومن قرأ (لاَيألتكم) فهو من: ألتَهُ يَألِتُهُ ألتًا، إذا نقصه.

ودليل هذه القراءة قول الله فى سورة الطور: (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) ( )، أى: ما نقصناهم"( ).

التفسير:

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة، قوله (ڑ ک ک ک ک گ گ): ولعمري ما عمّت هذه الآية الأعراب، إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إنما أنزلت في حي من أحياء الأعراب امتنوا بإسلامهم على نبي الله ﷺ فقالوا: أسلمنا، ولم نقاتلك، كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله: لا تقولوا آمنا، ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم.

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد، قوله (ڻ ڻ ڻ ۀ ہ) لا ينقصكم.

أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة، قوله (ڻ ڻ ڻ ۀ ہ) يقول: لن يظلمكم من أعمالكم شيئا"( ).

والأعراب جمع "أعرابي"، وهم العرب البدو، سكان البادية، وأكثرهم أهل غلظة وجفاء، وبُعد عن الكياسة والأدب.

ومما يدل على جفاء الأعراب ما ورد في الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ قال: "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية"، فأدركه أعرابي فجبذ بردائه جبذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك" فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء"( ).

وعن عقبة بن عمرو أبي مسعود ﷺ قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: الإيمان يمان، ها هنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين( ) عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة، ومضر" ( ).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من بدا جفا، ومن اتَّبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قربا، إلا ازداد من الله بعدا"( ).

قال الإمام الشوكاني: "فَالْأَعْرَابِيُّ إذَا قِيلَ لَهُ يَا عَرَبِيُّ فَرِحَ، وَإِذَا قِيلَ لِلْعَرَبِيِّ يَا أَعْرَابِيُّ غَضِبَ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنِ اسْتَوْطَنَ الْقُرَى الْعَرَبِيَّةَ فَهُوَ عَرَبِيٌّ، وَمَنْ نَزَلَ الْبَادِيَةَ فَهُوَ أَعْرَابِيٌّ، وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَعْرَابٌ، وَإِنَّمَا هُمْ عَرَبٌ"( ).

ولذلك ندب الشارع إلى الهجرة والاستيطان، حيث مجامع الناس والصلاة والجُمُع والعلم،

وبوب الإمام البخاري في صحيحه باب "التعرب في الفتنة"، وفيه عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع، ارتددت على عقبيك، تعربت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ "أذن لي في البدو" وعن يزيد بن أبي عبيد، قال: "لما قتل عثمان بن عفان، خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة، وتزوج هناك امرأة ، وولدت له أولادا ، فلم يزل بها ، حتى قبل أن يموت بليال ، فنزل المدينة"( ).

قال الإمام ابن حجر في التعرب بعد الهجرة: وَهُوَ أَنْ يَنْتَقِلَ الْمُهَاجِرُ مِنَ الْبَلَدِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا فَيَسْكُنَ الْبَدْوَ فَيَرْجِعَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ أَعْرَابِيًّا وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُحَرَّمًا، إِلَّا إِنْ أَذِنَ لَهُ الشَّارِعُ فِي ذَلِكَ وَقَيَّدَهُ بِالْفِتْنَةِ إِشَارَةً إِلَى مَا وَرَدَ مِنَ الْإِذْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ حُلُولِ الْفِتَنِ"( ).

فالخروج إلى البادية فرارا من الفتن أمرٌ مشروع، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن"( ).

ولا شك أن المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم، خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم، كما جاء في الحديث الصحيح"( ).

والمعنى: يقول تبارك وتعالى مُنكرا على هؤلاء الأعراب - حين دخولهم الإسلام - ادعاءهم لأنفسهم مقام الإيمان الكامل، ولم يكن قد تمكن الإيمان في قلوبهم: وليس المقصود جميع الأعراب، وإنما هم بعض الأعراب، وحي من أحياء العرب، وهم بنو أسد بن خزيمة، كما جاء في الروايات الصحيحة، وستأتي، فأمر الله تبارك وتعالى خليله محمدا ﷺ أن يُجيبهم بقوله: (ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ

گ گگ گ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک)، أي: لا تدعوا لأنفسكم الإيمان التام، ولكن قولوا أسلمنا للشرائع الظاهرة، وقريب ترقيكم إلى معارج الإيمان ودرجاته، إن حسن إسلامكم، وإن أطعتم الله جل وعلا ورسوله ﷺ، بامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما؛ لا يُنقصكم الله من أجر أعمالكم شيئا، فإن الله غفور لمن تاب وأناب، ورحيم بهم، وفي هؤلاء الأعراب قولان:

الأول: ما ذكرنا من أنهم لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، وإن كان أصله عندهم. فهم أعرابٌ، ضُعفاء الإيمان، يمشون مع الناس في ظاهر الشرع، ولكن لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم الدخول الكامل.

الثاني: أنهم أعرابٌ منافقون؛ لقول الله تعالى: (ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ) ( )، والراجح الأولُ، فهؤلاء الأعراب، وإن كان الغالب عليهم أنهم لا يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله- إلا أنهم أسلموا، وانقادوا، وهذا طريق الإيمان.

قال شيخنا العلامة ابن عثيمين: قال العلماء: إذا أتت "لمّا" بدل "لم"، كان ذلك دليلا على قرب وقوع ما دخلت عليه، ومنه قوله تعالى: (ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک) ( )، أي: لم يذوقوه، لكن قريبٌ منهم"( )، "وما في لَمَّا من معنى التوقع: دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد"( ).

قال الإمام ابن كثير: "والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعدُ؛ فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة، وإنما قيل لهؤلاء تأديبا: قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد"( ).

وتذييلُ الآية بقوله تعالى: (ۀ ہ ہ ہ ھ)، يؤيد ما رجحه الإمام ابن كثير، والله أعلم.

وهؤلاء الأعراب هم بنو أسد، قوم طُليحة الأسدي، ويدل لهذا ما روى البزار والطبراني في المعجم الأوسط، والنسائي في السنن الكبرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللهِ أَسْلَمْنَا وَقَاتَلَتْكَ الْعَرَبُ، وَلَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ فِقْهَهُمْ قَلِيلٌ، وَإِن الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسلامكم) الآية( ).

وسياق الآيات واحد، ويؤيد رواية ابن عباس( ) رضي الله عنهما، ما روي عن مُجاهد بسند صحيح في قوله تعالى: (ڑ ک ک ک) قال: أعراب بني أسد بن خزيمة"( ).

قال الإمام ابن كثير: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه"( ).

وفي هذه الآية الكريمة فرق بين الإسلام والإيمان، وكذلك في حديث جبريل ﷺ فرق بين الإسلام والإيمان، ففي حديث جبريل ﷺ، لما سُئل النبي ﷺ عن الإسلام قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت"، وفي الإيمان

قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ ففرق بين الإسلام والإيمان.

وفي أدلة أخرى، يجعل الله الإيمان هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان، فهل في هذا تناقض؟

والجواب، لا، فإذا قرن الإسلام بالإيمان صارا شيئين، وإذا ذُكر الإسلام وحده، أو الإيمان وحده؛ صارا بمعنى واحد، ولهذا نظائر في اللغة العربية كثيرة، ولهذا قال أهل السنة والجماعة: إن الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا –يعني إذا ذُكرا في سياق واحد – فهما شيئان، وإذا ذُكر أحدهما دون الآخر، فهما شيء واحد، ويدل على هذا، أن النبي ﷺ، عدد أعمالا هي من الإسلام، وجعلها من الإيمان، فقال ﷺ: الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، مع أنها من الإسلام.

قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وإماطة الأذى عن الطريق من الإسلام؛ لأنها عمل، والأعمال جوارح، والحياء شُعبة من الإيمان، وهذا في القلب، فالمهم، الإيمان والإسلام إذا افترقا فهما شيء واحد، وإذا اجتمعا فهما شيئان"( ).

قال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: قوله ﷺ: "الاسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره( ).

قال هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصوم؛ لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو بدل فريضة لأن اسم الشيء مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهرا إلا بقيد ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن واسم الإسلام يتناول أيضا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن ويتناول أصل الطاعات فإن ذلك كله استسلام قال فخرج مما ذكرناه وحققنا أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قال وهذا تحقيق وافر بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم"( ).

"فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان، غيرُ حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادةُ الرسالة غيرُ شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد، كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان [له]، إذ لا يَخْلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه، ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله، وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الإفراد والاقتران، منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفردا في وعيد الآخرة؛

دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ( )، ونظائره كثيرة. وإذا قُرن بينهما؛ كان الكافر مَن أظهر كفره، والمنافقُ من آمن بلسانه، ولم يؤمن بقلبه. وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ الفقير والمسكين، وأمثال ذلك"( ).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: "أو مسلما" فسكت قليلا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنا، فقال: أو مسلما". ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ، ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه، خشية أن يكبه الله في النار"( ).

ومن عُلم إسلامه، فلا يُحكم بخروجه منه إلا بيقين.

قال الإمام النووي: "واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه، ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك، فإن استمر حكم بكفره، وكذا حكم من استحل الزنى أو الخمر أو القتل، أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة"( ).

قوله تعالى: (ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ ۇٴ ۋ ۋ).

"يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: إنما المؤمنون - أيها القوم - الذين صدقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا، يقول: ثم لم يشُكُّوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه (ﮯ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈۈ)( )، يقول: جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم، على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى"( ).

قوله تعالى: (ۇٴ ۋ ۋ)، أي: في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون، لا كبعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة( )، ودخلوا في الملة خوف السيف؛ ليحقنوا دماءهم وأموالهم.

قوله تعالى: (ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ).

يقول تبارك وتعالى، آمرا خليله محمدا ﷺ أن يقول لهؤلاء الأعراب، ولا زال السياق القرآني فيهم -: قل لهم أيها النبي ﷺ أتخبرون الله بما في قلوبكم وضمائركم، والله هو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه مثقال ذرة فيهما، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وعالمٌ بما في قلوبكم من الإيمان أو الكفر، والبر أو الفجور، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم منكم؛ فيحلَّ عليكم غضبه، وتنزل بكم عقوبته.

قوله تعالى: (ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ).

سبب نزول الآية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللهِ أَسْلَمْنَا وَقَاتَلَتْكَ الْعَرَبُ، وَلَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: إِنَّ فِقْهَهُمْ قَلِيلٌ، وَإِن الشَّيْطَانَ يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم) ( ).

قال ابن عطية: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا): نزلت في بني أسد أيضا، وذلك أنهم قالوا في بعض الأوقات للنبي ﷺ: إنا آمنا بك واتبعناك، ولم نحاربك كما فعلت محارب خصفة وهوازن غطفان وغيرهم، فنزلت هذه الآية، حكاه الطبري وغيره. وقرأ ابن مسعود: (يمنون عليك إسلامهم) ( ).

و"مَنَّ عليه: أنعمَ"( )، والمِنَّةُ: النّعمة الثّقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وعلى ذلك قوله: (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) ( )، (كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ) ( )، (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَهارُونَ) ( )، (يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ) ( )، وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا( )، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: المِنَّةُ تهدم الصّنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة. وقوله: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ) ( )، فالمنّة منهم بالقول، ومنّة الله عليهم بالفعل، وهو هدايته إيّاهم كما ذكر"( ).

و"مننتُ عليه مَنًّا أيضا: عددت له ما فعلت له من الصنائع، مثل أن تقول: أعطيتك وفعلت لك، وهو تكدير وتغيير، تنكسر منه القلوب؛ فلهذا نهى الشارع عنه بقوله (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) ( ).

والمعنى: يمُنَّ عليك أيها النبي هؤلاء الأعراب - حديثي العهد بالإسلام - أن أسلموا، فقل لهم: لا تمنوا عليّ دخولكم في الإسلام، فالنفعُ عائدٌ إليكم، والله جل وعلا هو الذي له المنّة عليكم أن وفقكم للإيمان به وبرسوله ﷺ، وستعلمون ذلك، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

وقارن قول هؤلاء الأعراب حديثي العهد بالإسلام، بقول الكُمّل من أصحاب النبي ﷺ، الذين آمنوا به وآووه ونصروه، ومع كل هذا يردون الفضل والمنّة لله جل وعلا ولرسوله ﷺ.

فعن عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ قال: كلما قال شيئا، قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: "لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا

لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"( ).

وروى الإمام أحمد بسند حسن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: " فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: " فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟، قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ " قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا"( ).

والمَنُّ من الله تعالى على خلقه محمود، وقد سبقت النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة.

والمنُّ من المخلوق مذمومٌ، بل من كبائر الذنوب، ومُبطلٌ للعمل، ومفسد للمعروف، كما قال تعالى: (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ) ( ).

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنَّان الذي لا يعطي شيئا إلا منه ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره" ... وفي رواية قال: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"( ).

قوله تعالى: (ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ).

يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومَن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد ﷺ وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحدثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم، فاستسر

في خبايا السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك (تي ثج ثم ثى)( )، يقول: والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها، أجهرا تعملون أم سرا، طاعة تعملون أو معصية؟ وهو مجازيكم على جميع ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر وكفؤه"( ).

قال الطاهر ابن عاشور: ذُيِّل تقويمُهم على الحق بهذا التذييل ليعلموا أن الله لا يُكتم، وأنه لا يُكذب، لأنه يعلم كل غائبة في السماء والأرض؛ فإنهم كانوا في الجاهلية لا تخطر ببال كثير منهم أصول الصفات الإلهية.

وربما علمها بعضهم مثل زهير في قوله:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم... ليخفى فمهما يُكتمِ الله يُعْلم( ).

ويستفاد من الآيات:

١-بيان شيء من أوصاف الأعراب، وأهل البوادي، من الغلظة والجفاء، ومجانبة الرفق والأدب.

٢-تزكية النفس والاستعلاء بالذات من أخلاق أهل النفاق، والتواضع والاعتراف بالنقص خلق أهل الإيمان والخشية من الله تعالى.

٣-الله تعالى لا يضيع أجر المؤمنين، بل يتقبله ويربيه لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، ويربي اللقمة لصاحبها حتى تكون مثل الجبل.

٤-المؤمنون حقا، مَن جمع مع الإيمان الصدق في قوله وفعله، وعدم الريبة، وبذل في سبيل الله ومراضيه النفس والنفيس.

٥-الإسلام والإيمان إذا اجتمعا في نص؛ افترقا في المعنى، فيكون الإيمان الشرائع الباطنة، وأعمال القلوب، والإسلام الشرائع الظاهرة، وأعمال الجوارح، وإذا افترقا في الذكر؛ اتحدا في المعنى؛ فالإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام.

٦-إثبات العلم والإحاطة بكل شيء لله تعالى، فلا يخفى عليه تعالى شيء من خلقه.

٧-بيان حُرمة المنِّ على المخلوق، وأشدُّ منه حُرمة، وأقبح صورة؛ المنَّ على الخالق جل وعلا.

الخـــــاتمة

الخاتمة:

وبعدُ، فهذا ما تيسر لي في تفسير هذه السورة العظيمة، حسب علمي واجتهادي، كما قال تعالى: (ہ ہ ہ ھ) ( )، وقال تعالى: (ئې ئې ئى ئى ئد ى)( )، وقوله تعالى: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ) ( )، وقال تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) ( )، مذيّلة ببعض الفوائد والحكم، مما ظهر لي، والعلم عند الله تعالى.

فأوصي نفسي والجميع بتقوى الله تبارك وتعالى، كما أوصي في ختام هذا البحث أن تُجعل هذه السورة العظيمة منهج حياة للمسلم، وذلك عن طريق تفعيل هذه الحكم والأحكام والمبادئ العظام التي اشتملت عليها السورة الكريمة إلى برامج للتربية والتوجيه والإرشاد في البيوت والمدارس والجامعات.

وبعد، فما كان من صوابٍ فمن الله تبارك وتعالى، وما كان من خطأ أو تقصير فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوبُ إليه: (ې ې ې د د ئا ئائه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې ئى ئد ى ى ی ی ئجئح ئم ئى ئي بج بحبخ بم بى بي تج تح تخ)( ).

أهم المصادر والمراجع

١- أحكام القرآن – أبو بكر ابن العربي - تحقيق محمد عبد القادر عطا – الطبعة الثالثة – ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٢- أحكام القرآن للجصاص – تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت- لبنان.

٣- أخبار القضاة– أبو بكر محمد بن خلف الضبي البغدادي – تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي – الطبعة الأولى- ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م- المكتبة التجارية الكبرى– القاهرة – مصر.

٤- أساس البلاغة - الزمخشري – تحقيق محمد باسل السود- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – الشيخ الشنقيطي ٧/٣ في تفسير سورة هود - تحقيق بكر أبو زيد - الطبعة الأولى -١٤٢٦هـ - دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – السعودية.

٦- إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس – تحقيق د.زهير غازي زاهد- دط-١٤٠٩هـ-١٩٨٨م- عالم الكتب- بيروت- لبنان.

٧- الإتقان في علوم القرآن– جلال الدين السيوطي – تحقيق مركز الدراسات القرآنية – ١٤٢٦هـ- طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة – السعودية

٨- الآداب الشرعية – عبد الله محمد بن مفلح المقدسي- تحقيق شعيب الأرناؤوط- عمر القيام- الطبعة الثالثة- ١٤١٩هـ-١٩٩٩م- مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان.

٩- الأدب المفرد للبخاري- تحقيق سمير بن أمين الزهيري- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ-مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض. المملكة العربية السعودية.

١٠- الأدب المفرد- محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- الطبعة الثالثة- ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م- دار البشائر الإسلامية- بيروت- لبنان.

١١- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني – تحقيق عادل أحمد، على محمد معوض- ط أولى- ١٤١٥هـ-دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان.

١٢- الاعتصام للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ-١٩٩٢م- دار ابن عفان – السعودية.

١٣- الإكليل في استنباط التنزيل – جلال الدين السيوطي- تحقيق د. عامر العرابي - الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ- دار الأندلس الخضراء – جدة – السعودية.

١٤- الإيمان بالله تعالى - عليّ محمد الصلابي- الطبعة الأولى- بدون تاريخ- دار ابن كثير- سوريا.

١٥- الإيمان، حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة –عبد الله بن عبد الحميد الأثري- مراجعة وتقديم: د.عبد الرحمن بن صالح المحمود- الطبعة الأولى- ١٤٢٤هـ-مدار الوطن للنشر- الرياض- المملكة العربية السعودية.

١٦- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- تحقيق عادل أحمد، على محمد معوض وآخرون- ط الأولى- ١٤١٣هـ-دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٧- البداية والنهاية – ابن كثير - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي – الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ-١٩٩٧م- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – مصر.

١٨- البرهان في علوم القرآن – محمد بن عبد الله الزركشي- تحقيق يوسف المرعشلي - الطبعة الأولى- ١٤١٠-١٩٩٠م- دار المعرفة – بيروت –لبنان.

١٩- البيان في عد آي القرآن - أبو عمرو الداني – تحقيق غانم قدوري الحمد – الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ-١٩٩٤م- مركز المخطوطات والتراث – الكويت.

٢٠- التبصرة في القراءات السبع - مكي بن أبي طالب القيسي– تحقيق د.محمد غوث الندوي- الطبعة الثانية- ١٤٠٢هـ- الدار السلفية – بومباي – الهند.

٢١- التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور ٢٣٦/١٢- دط- ١٩٨٤م- طبعة الدار التونسية للنشر – تونس.

٢٢- التسهيل في علوم التنزيل – ابن جزي الكلبي - تحقيق عبد الله الخالدي – الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ- شركة دار الأرقم – بيروت- لبنان.

٢٣- التسهيل لعلوم التنزيل للعلامة محمد بن جُزَيّ الكلبي-ضبطه محمد سالم هاشم - الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ-دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٢٤- التفسير الميسر – إعداد نخبة من العلماء – ط الثالثة – ١٤٣٢هـ- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية.

٢٥- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٢٦- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي – الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ-عالم الكتب- القاهرة- مصر.

٢٧- التيسير في القراءات السبع – للإمام أبي عمرو الداني- تحقيق د. خلف بن حمود الشغدلي (رسالة ماجستير) مقدمة للجامعة الإسلامية – كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية- بالمدينة النبوية- تحت الطبع.

٢٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق محمد زهير الناصر- ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ- دار طوق النجاة-بيروت-لبنان.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله القرطبي - تحقيق د. عبد الله التركي – الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

٣٠- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان- دط- ١٤٠٣هـ- مكتبة المعارف- الرياض- السعودية.

٣١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي – محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

٣٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن– أبو زيد الثعالبي- تحقيق الشيخ م حمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ- دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان.

٣٣- الحجة في القراءات السبع – أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه- تحقيق عبد العال سالم مكرم- الطبعة الرابعة- ١٤٠١هـ-دار الشروق- بيروت- لبنان.

٣٤- الحجة للقراء السبعة – أبو علي الفارسي- تحقيق بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي- الطبعة الثانية- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م- دار المأمون للتراث- دمشق- سوريا- بيروت- لبنان.

٣٥- الدر المصون في علم الكتاب المكنون- للسمين الحلبي- تحقيق على محمد معوض، عادل أحمد وآخرون- ط الأولى- ١٤١٤هـ-دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان.

٣٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد دائم المعروف بالسمين الحلبي- تحقيق د.أحمد الخراط- دط-دت-دار القلم- دمشق- سوريا.

٣٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي -١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م- دار هجر- القاهرة – مصر.

٣٨- الرد على الزنادقة والجهمية - الإمام أحمد بن حنبل– تحقيق محمد حسن راشد- دط- ١٣٩٣هـ- المطبعة السلفية – القاهرة- مصر.

٣٩- الرسالة للإمام الشافعي – تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب- ط الأولى – ١٤٢٢هـ-دار الوفاء – المنصورة – مصر.

٤٠- الزهد الكبير للبيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر- دط- ١٩٩٦- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان.

٤١- الزواجر عن اقتراف الكبائر – ابن حجر الهيتمي - الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م- دار الفكر- بيروت- لبنان.

٤٢- السبعة لابن مجاهد – تحقيق د. شوقي ضيف- ط الثالثة – دار المعارف – القاهرة – مصر.

٤٣- السنن الكبرى – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي- تحقيق حسن عبد المنعم شلبي-الطبعة الأولى- ١٤٢١هـ-٢٠٠١م- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

٤٤- السنن الكبرى للبيهقي – ط الأولى- ١٣٤٤هـ-مجلس دائرة المعارف النظامية – حيدر آباد – الهند.

٤٥- السنن الكبرى للنسائي- تحقيق حسن عبد المنعم شلبي— إشراف العلامة: شعيب الأرناؤوط- تقديم: عبد الله التركي- ط الأولى- ١٤٢١هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

٤٦- الشرح الممتع على زاد المستقنع - العلامة محمد بن عثيمين – ط الأولى- ١٤٢٤هـ- دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الرياض- المملكة العربية السعودية.

٤٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول – ابن تيمية – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – طبعة الحرس الوطني السعودي- السعودية.

٤٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر الفارابي - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- الطبعة الرابعة- ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م- دار العلم للملايين – بيروت- لبنان.

٤٩- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور – أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ- دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية.

٥٠- الضعفاء الكبير للعقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي- الطبعة الأولى- ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م- دار المكتبة العلمية- بيروت- لبنان.

٥١- الطبقات الكبرى - محمد بن سعد الزهري – تحقيق إحسان عباس- الطبعة الأولى- ١٩٦٨م- دار صادر – بيروت – لبنان.

٥٢- الفرائد الحسان في عد آي القرآن – العلامة عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي- الطبعة الأولى- ١٤٠٤هـ- مكتبة الدار- المدينة المنورة- السعودية.

٥٣- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم- دط- دت- دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة – مصر.

٥٤- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي- تحقيق عادل بن يوسف العزازي- ط الأولى- ١٤١٧هـ- دار ابن الجوزي- الرياض- السعودية.

٥٥- القاموس المحيط للفيروزآبادي - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- ط الثامنة- ١٤٢٦هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان.

٥٦- القول المفيد على كتاب التوحيد للعلامة الشيخ محمد بن عثيمين- ط الثانية- ١٤٢٤هـ- دار ابن الجوزي – الرياض- المملكة العربية السعودية.

٥٧- الكافي في فقه الإمام أحمد للإمام ابن قدامه - الطبعة الأولى-١٤١٤هـ-١٩٩٤- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٥٨- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ- مكتبة ابن تيمية – القاهرة- مصر.

٥٩- الكتاب - سيبويه- تحقيق عبد السلام محمد هارون– دط-دت- دار الجيل - بيروت. و : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٦٦/١١.

٦٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري – ضبط وتصحيح مصطفى حسين - الطبعة الثالثة – ١٤٠٧هـ - دار الريان للتراث – القاهرة – مصر. دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

٦١- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها للعلامة مكي بن أبي طالب القيسي- تحقيق د.محيي الدين رمضان- ط الرابعة – ١٤٠٧هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان.

٦٢- الكليات – أبو البقاء الكفوي - تحقيق عدنان درويش، محمد المصري- دط- ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.

٦٣- المحاسن والأضداد – الجاحظ – دط-١٤٢٣هـ-دار الهلال- بيروت- لبنان.

٦٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– أبو محمد ابن عطية الأندلسي- تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد – الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٦٦- المحرر في علوم القرآن للدكتور/ مساعد الطيار – ط الثانية – ١٤٢٩هـ- معهد الإمام الشاطبي – جدة – المملكة العربية السعودية.

٦٧- المدهش– أبو الفرج الجوزي – تحقيق د.مروان قباني – ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٦٨- المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ-١٩٩٠م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٦٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ?- أبو الحسن - مسلم بن الحجاج القشيري- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٧٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي – دط- دت-المكتبة العلمية – بيروت- لبنان.

٧١- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ- دار العاصمة- دار الغيث- السعودية.

٧٢- المعجم الكبير – أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني- تحقيق حمدي السلفي- الطبعة الثانية- ١٩٨٣م- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٧٣- المُغني لابن قدامة - تحقيق د. عبد الله التركي، د. عبد الفتاح الحلو- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ- دار هجر للطباعة والنشر- القاهرة- مصر.

٧٤- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني- تحقيق صفوان عدنان داودي- الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ- دار القلم- دمشق – سوريا.

٧٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٧٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٧٧- الموسوعة الفقهية الكويتية، الطبعة من ١٤٠٤: ١٤٢٧هـ - دار السلاسل- الكويت.

٧٨- الموطأ – مالك بن أنس الأصبحي المدني- تحقيق محمد مصطفى الأعظمى- الطبعة الأولى- ١٤٢٥اهـ-٢٠٠٤م- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان- أبو طبي – الإمارات.

٧٩- الميسر في القراءات الأربعة عشر للشيخ محمد فهد خاروف – الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ- دار ابن كثير- دمشق – سوريا.

٨٠- النشر في القراءات العشر – شمس الدين أبو الخير ابن الجزري- تحقيق علي محمد الضباع – دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٨١- النشر في القراءات العشر للإمام محمد بن الجزري – تحقيق علي محمد الضباع – المطبعة التجارية – القاهرة – مصر.

٨٢- النكت والعيون – أبو الحسن الماوردي - تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٨٣- النهاية في غريب الأثر – أبو السعادات ابن الجزري – تحقيق طاهر أحمد الزاوي- محمود الطناحي- دط-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م- المكتبة العلمية- بيروت- لبنان.

٨٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد – أبو الحسن الواحدي النيسابوري – تحقيق وتعليق الشيخ عادل عبد الموجود وآخرون – الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ-١٩٩٤م- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

٨٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - أبو سعيد البيضاوي - تحقيق محمد المرعشلي – الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ- دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان.

٨٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير- أبو بكر جابر بن موسى الجزائري- الطبعة الخامسة- ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- السعودية.

٨٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - أبو طاهر الفيروز آبادي – – تحقيق محمد علي النجار- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – مصر.

٨٨- بيان المعاني - عبد القادر بن ملا حويش العاني -الطبعة الأولى- ١٣٨٢هـ-١٩٦٥م- مطبعة الترقي- دمشق –سوريا.

٨٩- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب- دط-دت- المكتبة العصرية- صيدا- لبنان.

٩٠- تفسير الإمام الشافعي – جمع الدكتور أحمد الفران - الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ- دار التدمرية – الرياض – السعودية.

٩١- تفسير الإمام الشافعي – جمع الدكتور أحمد الفران - الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ- دار التدمرية – الرياض – السعودية.

٩٢- تفسير القرآن– أبو المظفر السمعاني - تحقيق غنيم عباس غنيم - الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ - دار الوطن – الرياض – السعودية.

٩٣- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير - تحقيق أ.د/ حكمت بشير- الطبعة الأولى - ١٤٣١ه دار ابن الجوزي – الرياض – السعودية.

٩٤- تفسير القرآن العظيم – للإمام ابن كثير- تحقيق الشيخ عبد الرزاق المهدي – ط الثانية- ١٤٢٣هـ-دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

٩٥- تفسير القرآن العظيم- أبو محمد الرازي ابن أبي حاتم- تحقيق أسعد محمد الطيب – الطبعة الثالثة- ١٤١٩هـ- مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية.

٩٦- تفسير القرآن الكريم (أصول التفسير) – الشيخ محمد بن صالح بن عثمين - الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ- إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية.

٩٧- تفسير المنار – محمد رشيد رضا- دط-١٩٩٠م- الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – مصر.

٩٨- تفسير النكت والعيون للماوردي- تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- دط-بدون تاريخ- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٩٩- تناسق الدرر في تناسب السور – جلال الدين السيوطي – دط- ٢٠٠٠م- دار ومكتبة الهلال – بيروت- لبنان.

١٠٠- تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهري الهروي - تحقيق محمد عوض مرعب- الطبعة الأولى- ٢٠٠١م- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

١٠١- تهذيب اللغة للهروي، تحقيق محمد مرعب- الطبعة الأولى- ٢٠٠١م-دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

١٠٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - نسخة على هامش المصحف الشريف - الطبعة الثانية – ١٤٣١هـ مؤسسة الرسالة – بيروت –لبنان.

١٠٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي – الطبعة الأولى- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م – دار عالم الكتب – الرياض – السعودية.

١٠٤- جامع العلوم والحكم – لابن رجب الحنبلي- تحقيق شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس- الطبعة السابعة - ١٤٢٢هـ-مؤسسة الرسالة – بيروت- لبنان.

١٠٥- حجة القراءات – ابن زنجلة - تحقيق سعيد الأفغاني – الطبعة الخامسة – ١٤١٨هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

١٠٦- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي- محمد الأمين الجكني الشنقيطي- دط- بدون تاريخ- مكتبة ابن تيمية – القاهرة – مصر.

١٠٧- دلائل النبوة للبيهقي – تحقيق د. عبد المعطي قلعجي- ط الأولى- ١٤٠٨هـ- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان- دار الريان للتراث- القاهرة – مصر.

١٠٨- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الطبعة الرابعة- ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م- دار المعرفة- بيروت- لبنان.

١٠٩- ديوان طَرَفَة بن العبد - تحقيق مهدي محمد ناصر الدين – الطبعة الثالثة – ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

١١٠- ديوان عنترة بن شداد – بدون بيانات.

١١١- رسالة تحكيم القوانين - الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ – تحقيق د. سفر الحوالي.

١١٢- روح المعاني - محمود بن شكري الألوسي– تحقيق علي عبد الباري عطية – الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

١١٣- رياض الصالحين للنووي، الطبعة الأولى- ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م-دار ابن كثير- دمشق- بيروت- لبنان.

١١٤- زاد المسير في علم التفسير – أبو الفرج بن الجوزي – تحقيق عبد الرزاق المهدي- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان.

١١٥- سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي- القاهرة – مصر.

١١٦- سنن أبي داود – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دط- بدون تاريخ- المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان.

١١٧- سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني – تحقيق شعيب الأرناؤوط- محمد كامل قره بللي- الطبعة الأولى- ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م- دار الرسالة العالمية- بيروت- لبنان.

١١٨- سنن الترمذي- محمد بن عيسى الترمذي- تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي- الطبعة الثانية- ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م- مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر.

١١٩- سنن الدارمي – تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ-دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

١٢٠- سنن الدارمي، تحقيق حسين الداراني- الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ-٢٠٠٠م- دار المغني للنشر والتوزيع – السعودية.

١٢١- سير أعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي- تحقيق شعيب الأرناؤوط – الطبعة الحادية عشرة – ١٤١٧هـ-مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

١٢٢- سيرة ابن هشام -تحقيق مصطفى السقا وزميلاه- الطبعة الثانية – ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة – مصر.

١٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م- دار ابن كثير- دمشق- بيروت- لبنان.

١٢٤- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني- الطبعة المصرية الأولى- ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م- دار السلام- القاهرة- مصر.

١٢٥- شرح العقيدة الواسطية للعلامة بن عثيمين- جمع وترتيب: فهد السليمان- الطبعة الثانية- ١٤١٧هـ-دار الثريا- الرياض- المملكة العربية السعودية.

١٢٦- شرح النووي على صحيح مسلم- الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ- دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان.

١٢٧- شرح ديوان المتنبي للعكبري- تحقيق مصطفى السقا وزميلاه- دط- بدون تاريخ- دار المعرفة – بيروت – لبنان.

١٢٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان- تحقيق: شعيب الأرناؤوط- الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

١٢٩- صحيح ابن خزيمة – أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري – تحقيق د.محمد مصطفى الأعظمي- دط- دت- المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

١٣٠- صحيح الترغيب والترهيب- محمد ناصر الدين الألباني- الطبعة الخامسة- بدون تاريخ- مكتبة المعارف- الرياض – السعودية.

١٣١- صحيفة علي بن أبي طلحة - تحقيق راشد عبد المنعم – الطبعة الأولى- ١٤١١هـ- مكتبة السنة- القاهرة- مصر.

١٣٢- طريق الهجرتين - ابن القيم – تحقيق عمر بن محمود – الطبعة الثانية- ١٤١٤-١٩٩٤م- دار ابن القيم – الدمام – السعودية.

١٣٣- طوق الحمامة – ابن حزم الظاهري – تحقيق د.إحسان عباس- الطبعة الثانية- ١٩٨٧م- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- لبنان.

١٣٤- طيبة النشر في القراءات العشر- الإمام محمد بن الجزري – تحقيق محمد تميم الزعبي-ط الأولى-١٤١٤هـ- مكتبة دار الهدى – المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية.

١٣٥- علم أصول الفقه - د. عبد الوهاب خلاف– الطبعة الثامنة – مكتبة الدعوة – القاهرة – مصر.

١٣٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – السمين الحلبي - تحقيق عبد السلام أحمد الحلبي - الطبعة الأولى – ١٩٩٥م- دار الكتب الوطنية – بنغازي – ليبيا.

١٣٧- عمدة الحفاظ للسمين الحلبي – تحقيق عبد السلام أحمد التونجي الحلبي- الطبعة الأولى- ١٩٩٥م- دار الكتب الوطنية- بنغازي – ليبيا.

١٣٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود ت- محمد أشرف العظيم آبادي – الطبعة الثانية – ١٤١٥هـ- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

١٣٩- غريب القرآن -تحقيق محمد أديب جمران- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ-١٩٩٥م- دار قتيبة – سوريا.

١٤٠- غريب القرآن لابن قتيبة- تحقيق أحمد صقر- دط- ١٣٩٨هـ-دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

١٤١- غريب القرآن لقاسم الحنفي – تحقيق د. جميل عبد الله عويضة- دط- ١٤٣٠هـ.

١٤٢- فتح الباري – ابن حجر العسقلاني - علق عليها الإمام ابن باز - تصحيح وإشراف محب الدين الخطيب – الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ - دار الريان للتراث- القاهرة – مصر.

١٤٣- فتح البيان في مقاصد القرآن - محمد صديق خان- مراجعة عبد الله الأنصاري-دط-١٤١٢هـ-١٩٩٢م- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- لبنان.

١٤٤- فتح القدير للشوكاني – ط أولى- ١٤١٤هـ- دار ابن كثير – دار الكلم الطيب- دمشق- بيروت- سوريا- لبنان.

١٤٥- قصص الأنبياء –ابن كثير - تحقيق مصطفى عبد الواحد – الطبعة الأولى- ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م- مطبعة دار التأليف- القاهرة- مصر.

١٤٦- كتاب التعريفات – علي بن محمد الجرجاني- ضبطه وصححه جماعة من العلماء-الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

١٤٧- كليات الألفاظ في التفسير دراسة نظرية تطبيقية – بريك القرني الطبعة الأولى – ١٤٢٦هـ- الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه – الرياض- السعودية.

١٤٨- لسان العرب- ابن منظور- تحقيق عبد الله علي الكبير وآخران- دط-دت- دار المعارف- القاهرة- مصر.

١٤٩- مجاز القرآن – أبو عبيدة البصري- تحقيق محمد فؤاد سزكين- دط- ١٣٨١هـ- مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر.

١٥٠- مجمع الزوائد للهيثمي، طبعة دار الفكر، دار الفكر – بيروت- لبنان.

١٥١- مجموع الفتاوى - ابن تيمية – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – ١٤١٦هـ- السعودية.

١٥٢- مجموع الفتاوى-طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- إشراف وزارة الشؤون الإسلامية- ١٤١٦هـ.

١٥٣- مجموع تفسير آيات من القرآن الكريم لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ليزيد بن محمد الردعان- ط الأولى- ١٤٣٤هـ-دار القبس – الرياض- المملكة العربية السعودية.

١٥٤- محاسن التأويل– محمد جمال الدين القاسمي - ضبطه وصححه: محمد باسل عيون السود – الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ- دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان.

١٥٥- مدارج السالكين لابن القيم- ط الثانية- ١٣٩٣هـ- دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان.

١٥٦- مسند أحمد بن حنبل- تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين- ط الأولى- ١٤٢١هـ- مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

١٥٧- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور - إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي – الطبعة الأولى- ١٤٠٨- ١٩٨٧م- مكتبة المعارف- الرياض- السعودية.

١٥٨- معالم التنزيل – أبو محمد البغوي الشافعي- . الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ - دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان

١٥٩- معالم التنزيل للبغوي (تفسير البغوي) – ط الأولى- ١٤١٤هـ- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان.

١٦٠- معاني القراءات – أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي – الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ-١٩٩١م- مركز البحوث في كلية الآداب- جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية.

١٦١- معاني القرآن – أبو زكريا الفراء - تحقيق أحمد يوسف النجاتي وزميلاه – الطبعة الأولى – دت – دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

١٦٢- معاني القرآن للنحاس – تحقيق محمد علي الصابوني- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ- جامعة أم القرى- مكة المكرمة – السعودية.

١٦٣- معاني القرآن وإعرابه أبو إسحاق الزجاج– تحقيق عبد الجليل شلبي- الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- علم الكتب- بيروت- لبنان.

١٦٤- معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس الرازي- تحقيق عبد السلام هارون- دط- ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م- دار الفكر- بيروت- لبنان.

١٦٥- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) – أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي– الطبعة الأولى- ١٤١١هـ- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٦٦- مفردات ألفاظ القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني – تحقيق صفوان عدنان الداودي- الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ- دار القلم – دمشق – سورية.

١٦٧- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل - أحمد بن إبراهيم الغرناطي - تحقيق عبد الغني محمد علي الفاسي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

١٦٨- موسوعة الصحيح المسبور- أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م- دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة المنورة – السعودية.

١٦٩- موطأ مالك – تحقيق محمد مصطفى الأعظمي- الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان – أبو ظبي- الإمارات.

١٧٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – إبراهيم بن عمر البقاعي - تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي - الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ - دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – تحقيق عبد الرزاق المهدي – ط الأولى- ١٤١٥هـ- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٧٢- نكت القرآن الدالة على البيان للإمام محمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق شايع الأسمري- الطبعة الأولى- ١٤٢٤هـ- دار ابن القيم- الدمام- السعودية – دار ابن عفان- القاهرة- مصر.

١٧٣- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري- تحقيق إبراهيم الإبياري- الطبعة الثانية – ١٤٠٠هـ- دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان.

فهرس الموضوعات

المقدمة: ٤

منهجي في البحث: ٥

التعريف بالسورة: ٦

مقاصد سورة الحجرات: ٩

مناسبة السورة لما قبلها: ١٤

تناسق آيات السورة: ١٦

الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ ١٧

التثبت في الأخبار ٣٧

حكم البغاة وفضيلة الإصلاح بين المسلمين ٤٨

من الآداب الإسلامية ٦١

مراتب الدين وبيان صفات المؤمنين ٨٨

الخاتمة: ١٠٥

أهم المصادر والمراجع ١٠٦
فهرس الموضوعات ١٢٨